الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مظاهر التجديد في الأدب العباسي

من خلال ديوان اللزوميات

ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

إعـــــداد:
خديجة دجال
راضية دوغة
ليلى بسرياني
سكينة علال

إشراف الأستاذ:
د. الأخضر سعداني

السنة الجامعية :(1436-1437هـ/2015-2016م)

بسم الله الرحمن الرحيم
كتبه ١٤١٧

شكر وتقدير

الشكر والحمد لله وحده هو الأول قبل الوجود والأخر بعد الخلود و الواجب له السجود .

الله الواحد المعبود ، فإليه ووحده يعود ولا نقول إلا ما قاله ربنا على لسان سليمان بن داود عليه السلام: ﴿ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠ ﴾ ، فاللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ونحن لك من الشاكرين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس للم يشكر الله "

ثم نتوجه بالشكر الجزيل والأمتنان الكبير إلى الأستاذ الدكتور المشرف :

"سعداني الأخضر" الذي جاد ولم يبخل علينا بالنصح والتوجيه، وكان النواة الأولى التي إرتكزنا عليها في إنجاز مذكرتنا واثرائها .

نسأل الله أن تكون في ميزان حسناته.

" لا إمام سوى العقل "

- أبو العلاء المعري -

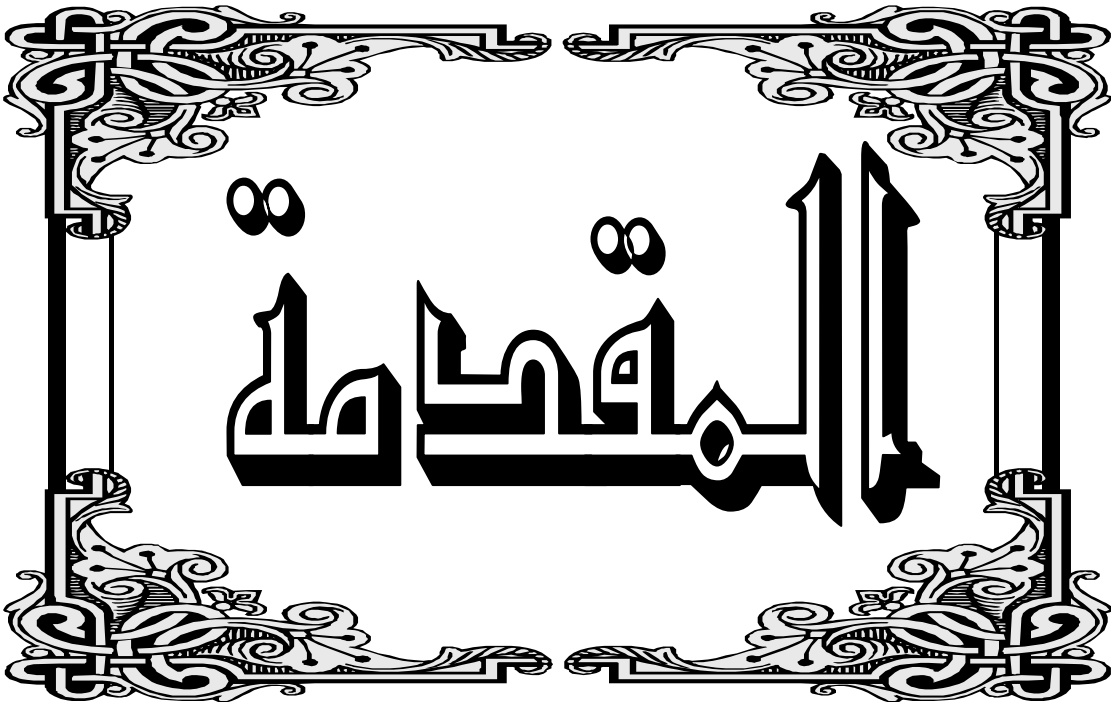
المقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان وعلمنا الحكمة والقرآن والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وترك خيرا إلا ودل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه ، وعلى الإله وصحبه وأزواجه والتابعين وبعد:

لقد مر الأدب العربي بعدة عصور تمتد من العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي، الذي يشهد تحولا مميز وتطور، ملحوظ فكل المجالات، لا سيما المجال الأدبي الذي ينير لنا الطريق ويساعدنا على الكشف عن وجه من اوجه الحضارة، وما هذا البحث سوى محاولة لإماطة اللثام واظهار عن بعض الجوانب الخفية وتسليط الضوء على التجديد الذي حصل في تلك الفترة من العصر العباسي وذلك من خلال لزوميات ابي العلاء المعري ورسالة الغفران وهما من الاثار الأدبية المهتمة بالكثير من القضايا الأدبية، والفكرية واللغوية في عالم الشعر والشعراء .

غير أننا نرى بأن الدراسات السابقة التي أقامت عن العصر العباسي كانت دراسة عامة أو محصورة في دراسة السطحية التعريفية ،ومن هنا حاولنا كسر الحاجز الذي بيننا وبين الدراسة المتعمقة الأدبية في العصر العباسي ومدى تأثير هذا العصر عن أدبائه ومنهم أبو العلاء المعري.

ومن هنا حاولنا إسقاط دراستنا على مظاهر الجدة في هذا العصر وكذلك على أبي العلاء المعري ومعالمه الثرية التي اخترنا منها ديوان اللزوميات ورسالة الغفران لأهميتهما الفكرية والعلمية والمرجعية في الأدب العربي فكان لذلك عنوان المذكرة بشكل التالي :

"مظاهر التجديد في الأدب العباسي من خلال ديوان اللزوميات ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري"

وفق الإشكال الآتي:

ماهي مظاهر التجديد في العصر العباسي؟ وكيف تجلت في أدب أبي العلاء المعري من خلال ديوان اللزوميات ورسالة الغفران؟

ولهذا الاختيار عديد من الاسباب كانت تحفزنا وتصر علينا بالخوض فيها، منها :

الإهتمام بقراءة النصوص التراثية واستنطاقها وفك رموزها.

الرغبة في التطلع إلى الرصيد الفلسفي، والفكر الهائل الذي يحتوي على ديوان اللزوميات ورسالة الغفران.

وكذلك من خلال تاريخ اهتمامنا بأبي العلاء المعري، الذي يرجع إلى دراستنا الجامعية الأولى حيث تناولنا بحثا متواضع عن أدب أبي العلاء المعري، وهنا ألقينا الضوء في دراستنا عن أبي العلاء المعري من خلال دراسة مظاهر الجدة في ديوان اللزوميات ورسالة الغفران.

وقد كان منطلق بحثنا هو القراءة والتجميع كذلك المراجعة والتمحيص في مظاهر التجديد في العصر العباسي ومدى تأثيره على أدب أبي العلاء المعري في ديوان اللزوميات ورسالة الغفران اللذان يعدان من اشهر ما بقى من التراث العربي في العصر العباسي، وفي سبيل الغجابة عن هذه الاسئلة اتبعنا الخطة التالية :

قد جاء بحثنا في بناء قوامه ، مقدمة و مصحوبة بما يلي :

مدخل : والذي انطلقنا فيه لموضوعنا من خلال إشارة أولية إلى العصر العباسي ومظاهر التجديد فيه ومدى تأثيره على أدب أبي العلاء المعري.

الفصل الاول : تناولنا فيه الدراسة النظرية للجديد في العصر العباسي واثر تجلياته في شخصية أبي العلاء المعري والذي قسمناه إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول : عرضنا فيه مظاهر الجدة في العصر العباسي .

المبحث الثاني :حياة أبي العلاء المعري.

المبحث الثالث : الجدة في (اللزوميات و رسالة الغفران).

الفصل الثاني : المتمثل في الدراسة التطبيقية في مظاهر التجديد عند أبي العلاء المعري وقد قسمناه إلى مبحثين :

المبحث الأول :مظاهر الجدة في ديوان اللزوميات.

المبحث الثاني والاخير تناولنا في مظاهر الجدة في رسالة الغفران.

الخاتمة: هي عبارة عن حوصلة لما جاء في موضوعنا الذي أوجزنا فيه النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا.

ضمن المنهج المعمول به وهو المنهج الوصفي الذي قوامه ملاحظة الظاهرة الأدبية ووصفها وتحليلها وتفسيرها وأيضا المناسب في بحثنا .

ومعتمدين أيضا على ما يتطلبه أي بحث من مصادر، ومراجع ففي الفصل الأول على مجموعة منها : المعاجم اللغوية (ابن منظور لسان العرب حسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة)

طه حسين المجموعة الكاملة (أبو العلاء المعري).

عائشة عبد الرحمان مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته.

محمد الشريفي أسلوب المعري ومناهجه.

كمال اليازجي ديوان لزوم مالا يلزم العظة والزهد وذم الدنيا.

شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي.

وأما في الفصل الثاني اعتمدنا على: ديوان اللزوميات شرح عمر أبو الناصر ورسالة الغفران أبي العلاء المعري تحقيق عائشة عبد الرحمان .

كما أن لكل عمل عثرات وموضوعنا أيضا لا يخلوا منها نظرا لصعوبات اعترضت سبيلنا أولاها سعة الفضاء المعرفي في الأدب العباسي وصعوبة الإلمام به جميعا ،وكذلك المجال المتفرع الذي يخوص فيه أدب المعري من خلال إلمامه بمختلف الأبعاد الفلسفية، والفكرية، والدينية العقائدية ...وثانيها هو صعوبة غحصاء مختلف مظاهر التجديد في اللزوميات ورسالة الغفران لأن كلاهما يختلف على الآخر وكذلك لطول ديوان اللزوميات فشق علينا ذلك الأمر إلا اننا حاولنا قدر الإمكان تخطي هذه الصعوبات بالصبر عليها وكذلك باتباع إرشادات الاستاذ و الدكتور المشرف " الأخضر سعداني " الذي لا يسعنا إلا أن نتقدم له بخالص تقديرنا واحترامنا له الذي راعانا بتوجيهاته ونصائحه وأخلاقه العلمية والأدبية الكبيرة ، فجزاه الله عنا خير جزاء .

وأخيرا أن أخطانا فمن أنفسنا والشيطان وإن أصبنا فمن العزيز الرَّحمان

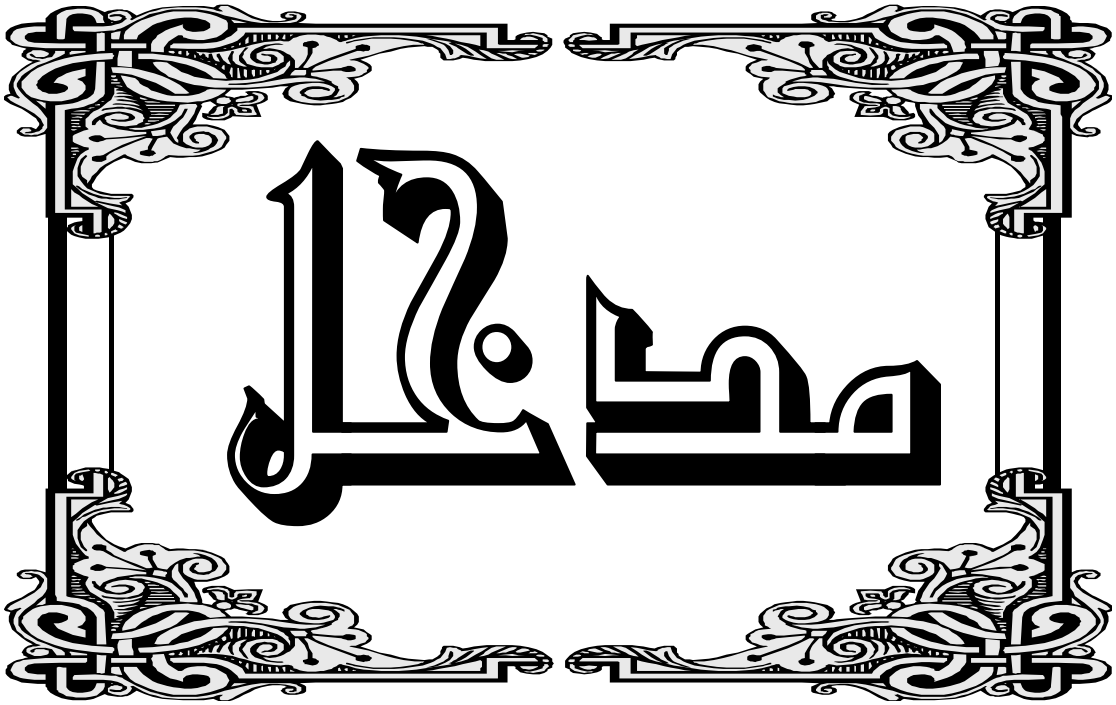
مدخل

مــدخل :

عرف العصر العباسي الثاني (232 – 334هـ) نهضة ثقافية أدبية شملت جميع ألوانه وفنونه ومست موضوعاته وأفكاره وقوالبه ومعاينة وأخيلته وألفاظه، وتجلت ملامح ذلك التجديد بقوة في ظل الخلافة العباسية وفي ظلال بعض الدويلات والعواصم الثقافية الأخرى.

ويعد هذا العصر من أرقى العصور العربية مدينة وحضارة وهو ينقسم بحسب الحوادث العظمى التي جرت فيه إلى قسمين: عصر القوة والازدهار السياسي والأدبي وقد ازدهرت فيه اللغة وزادت ثروتها من الألفاظ، إذ كان يسهر على رعايتها خلفاء وأمراء لا يبغون سبيل إحيائها لأنها لغة الدين الذي يدينون به، وعصر ضعفت فيه هيبة الحاكم ودبّ الضعف في أوصال الدولة فعجز الخلفاء على السيطرة عليها، فلم يطل القرن الرابع هجري حتى كانت بلاد فارس تحت سلطة بني بويه، وحلب والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج الأخشيدي ثم بعد ذلك في يد الفاطميين[1].

ورغم كل هذا التفكك السياسي فقد ظل الفكر العربي يشق طريقه نحو الازدهار ولم يتاثر بالضعف السياسي، بل جاء هذا التفكك بأسباب ازدهار أكبر وتعدد مراكز الحضارة وأصبح الأدب في هذه العصور مرآة واضحة لهذه الحياة كلها[2].

ومن مظاهر التغيير التي طرأت في الأدب العباسي ، التمرد على القديم والسعي نحو كل جديد مع وجود أنصار لإحياء القديم والمحافظة عليه[3].

تَبْـكيْ على طِلالِ الماضين من أَســدْ *** لَا دَّر دَرُّكَ قل لي مَنْ بنو أســدْ

لا جَفَ دَمْع الذي يَبْكيْ على حَجدْ *** ولا صَّبا قَلْبُ من يَصْبو إلى وتدْ [4].

[1] محمد الطيب عبد النافع، إبراهيم الرحيم يوسف، تاريخ الأدب والنصوص الأدبية، منشورات مكتبة الوحدة العربية، (د ط، د ت) ، ص220.

[2] المرجع نفسه، ص 221.

[3] المرجع نفسه، ص 221.

[4] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج1، ط1، 1993، ص 631

هذا العصر الذي عمّت فيه الفوضى السياسية واضطراب جل الأمن وساءت الحالة الاقتصادية وتفسخت الحياة الاجتماعية وتداعى الشعور الديني وانحط المستوى الخلقي ظهرت ثورة عنيفة عارمة على يد رجل فذ، ثورة لقمع هذه الثورات هذه الثورة هي الثورة الفكرية التي انبعثت من شعر اللزوميات وهذا الرجل هو مفكر وشاعر المفكريين أبو العلاء المعري أحمد بن عيد الله بن سلمان التنوخي، هذا العصر الذي وجد فيه أبو العلاء عصر ثائر، فبعد أن أشعلت الفاطمية القيروان والمغرب وافق دخول إمامها — المعز لدين الله– مصر عام مولد المعري، وفي العقد الذي ولد فيه شيخ المعرة وخرج كانت جمعية إخوان الصفا تزدهر وتنمو نمو الصبي.

التي وضعت خمسين رسالة جمعت فيها معارف عصرها وصورت ما فيه ونحن بصدد الحديث عن الفترة التي عاش فيها أبو العلاء المعري نلحظ أن هذه الفترة كانت زبدة الحقبة العربية وتركت في تاريخنا عصارة الفكر العربي، وقبل أن يرى أبو العلاء المعري النور استطاع جوهر الصقلي أن يفتح مصر باسم الفاطميين[1].

وقد عاصر المعري من الخلفاء الفاطميين أربعة، أبا منصور نزار العزيز هو أول خليفة فاطمي في مصر، ثم الحاكم بأمر الله ثم الظاهر ثم المستنصر، امتاز هذا العهد في مصر بالبناء وبالعلم كما عاصر كذلك ثلاثة من خلفاء بغداد وعشرين من باباوات رومية[2].

وفي هذه الحقبة الثائرة المضطربة وبعدها وجد أبو العلاء ، جاء وجمع الآراء في طور النضج وكان عهد البويهيين من أسوأ العهود من حيث الاضطراب السياسي والإداري في العراق خاصة.

وفي عمق هذا الصراع والتشتت والاضطراب ولد المعري ونشأ وتعلم وشب وارتحل، ولكن رغم هذا الصراع كله والاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء إلا أن الشعر قد كان في العصر راقيا في لفظه ومعناه ومقداره، وهذا الرقي اللفظي ما تحتوي دواوين الشعراء في هذا العصر حيث أن الشعر اصطبغ بألوان جديدة وانبعثت فيه فنون كادت تضمحل وتنسى، وأما ما استجد به فالشعر الفلسفي والصوفي وأما ما انبعث حي كالفخر والحماس وأما ما انتقل فالدهريات والزهريات والاخوانيات

[1] مارون عبود، زوبعة الدهور، دار الثقافة بيروت.(د ط، د ت) ص 34

[2] المرجع نفسه، ص34.

والهمزيات، ومما لاشك فيه أن هذا العصر قد كان عصر النهضة الأعجمية أرادت فيها الأمم التي خضعت لسلطان العرب التي تسرد مجدها القديم وعاش المجتمع العربي الإسلامي هذا العصر بأحداث جديدة سياسية واجتماعية ودينية وفكرية متميزة كان لها دورا بارزا في توجيه فكر المغرب وآرائه وخاصة في مجال الأخلاق.

ومن هذا المنطلق لا حظنا أنه لزاما علينا أن ندرس أحوال المجتمع من أجل توضيح موجهات فكر المعري[1].

[1] طه حسين، المجموعة الكاملة (أبو العلاء المعري)، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، مج10، ط2، 1983، ص 301-302.

الفصل الأول:

الجديد في العصر العباسي واثر تجلياته في شخصية أبي العلاء المعري

المبحث الأول: مظاهر الجدة في العصر العباسي .

المبحث الثاني: حياة أبي العلاء المعري.

المبحث الثالث: الجدة في (اللزوميات–رسالة الغفران)

- اللزوميات.
- رسالة الغفران.

المبحث الأول : مظاهر الجدة في العصر العباسي :

ليس أبو العلاء المعري الذي نحن بصدد دراسة حياته وشعره إلا ثمرة من ثمرات عصره الذي عمل في أنضاجها عوامل متنوعة، منها الزمان والمكان والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية...إلخ. في ذلك العصر.

ولكي نفهم شخصية المعري وشعره، فلا بد من الالمام بكل هذه المناحي ذلك أن اثر البيئة يبرز واضحا في نمط تفكيره وطريقة حياته، ومدى تشاؤمه وفلسفته الخاصة إلا نتيجة لما آلت إليه الأمور من الفوضى والاضطراب في ذلك العصر[1].

أولا : الحياة السياسية :

تنقسم الحياة السياسية في العصر العباسي إلى قسمين أحدهما كان قبل مولد أبي العلاء المعري والثاني في عصر أبي العلاء، كما يسميه الدكتور طه حسين العصر الأول بعصر الخلفاء لأن السلطة فيه قد كانت للخلفاء حقيقة أم العصر الثاني فيسمى عصر الملوك لأن السلطة فيه قد انتقلت من الخلفاء إلى الولاة وخدام الدويلات الصغيرة.

كما أننا نستطيع أن نقسم هذا العصر إلى قسمين آخرين الأول عصر القوة والثاني عصر الضعف.

كان العصر العباسي الثاني عصر الملوك وينقسم إلى قسمين، عصر الديلم وعصر السلاجقة أن إضافة هذا العصر إلى الديلم لا تخلو من بعض المجاز، إذ أن سلطان الديلم لم ينبسط على الأمة الإسلامية ولم يكد يتجاوز العراق وفارس إلا قليلا ولكن قيامهم ببغداد واستئثارهم بأمر الخلفاء قد جعل دولتهم أبعد الدول الإسلامية في ذلك العصر، صوتا وإنما هو عصر الدول المفترقة والممالك المتباينة[2]

[1] علي كنحيان خنازي، مصادر ثقافة أبي العلاء المعري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2001، ص 11.

[2] طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، مطبعة دار المعارف بمصر، ط9، ص43،46.

عاش أبو العلاء المعري في عصر دولة الديلم الآنفة الذكر أي في العصر العباسي الثاني، وقد حكمت معرة النعمان أثناء حياة المعري ثلاث من الدول وهي الحمدانية ثم الفاطمية وكذلك المرادسية. أن حياة المعري اتصلت بدولة الديلم ببغداد ستة وسبعة أشهر عندما رحل إلى العراق.

إن الحياة السياسية في عصر أبي العلاء كانت مليئة بالفزع والهول والاضطراب السياسي. وتتضح من دراسة تاريخ هذا العصر من خلال المصادر التاريخية التي أسهبت في الكلام عن أحداث هذا العصر صحة وجود الاضطراب في ذلك الزمان[1].

اثرت هذه الأوضاع في تكوين شخصية المعري وفلسفته ويمكن أن يرى اثر هذه الأحداث في حياته من خلال ما ذكره في أشعاره فقد أرّخ المعري للحياة السياسية في عصره في كثير من قصائده حيث بيّن فيها الاضطراب السياسي السائد في ذلك العصر، وتنافس الدويلات على الحكم وعايش الفتن الأهلية، والغارات التي شنها البدو والشداد على أرزاق الناس، ولقد تناول في حملته الأوضاع السياسية والأمنية والقضائية والمعيشية وهنا نماذج ما قاله في أشعاره :

ما قاله في الفوضى السياسية وجور الحكام في الشام والعراق:

أنَّ العـراقَ وأنَّ الشَّـامَ مِن زَمَـنِ *** صَفْرانِ مَا بِهما للمَلِكِ سُلطانْ

سـاسَ الأنـامَ شياطـينَ مُسَلْطَةٍ *** في كُلِ مِصْر مِنْ الوَالينَ شَيطانْ

مَن لَيسَ يَحْفَل خمُصَ النَّاسَ كُلهُم *** إنْ بَاتَ يَشْرَبُ خَمرًا هو مُبطانْ

وقال في ظلم الحاكم:

مُلّ المقامْ فَكَم أُعاشِرُ أُمَّةً *** أُمِرَتْ بِغَيْرِ صَلاحِهَا أُمَرَاؤُها

ظَلَموا الرَّعِيَّةَ واسْتَجارُوا كَيْدهَا *** فَغَدَوْا مَصَالِحِهَا وهُمْ أُجَراؤُهَا[2].

ثانيا: الحياة الاجتماعية :

كان لفساد الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني اثر بالغ في فساد سائر مناحي الحياة الاجتماعية، فلا يعقل أن تفسد الحياة السياسية لشعب من الشعوب إلى تلك الدرجة التي نجدها في

[1] على كنجيان خنازي: مصادر ثقافة أبي العلاء المعري، ص14.

[2] كمال اليازجي، ديوان لزوم ما لا يلزم، في العظة والزهد وذم الدنيا لأبي العلاء المعري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ج1، ص56.

كتب التاريخ ففي عصر أبي العلاء المعري كثرت الحروب والمحن والويلات التي كانت تعتري الأمة الإسلامية بين حين وآخر، واختل النظام الاقتصادي وغيرهم من فساد الأوضاع السياسية وحياة البذخ و الترف التي كان يعيشها الحكام والأمراء على حساب الشعوب المقهورة والمظلومة، إن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء والحكام وحواشيهم من الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة، وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء بأسباب النعيم أما هو فعليه أن يضع قصص البؤس والشقاء ومرّ ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد[1].

لقد ضعف الاثر الديني عند الناس بحيث لم يكن اثره ليبلغ الضمائر أو يتغلغل في أعماق النفوس يضاف إلى ذلك شيء آخر اشتد اثره في فساد الحياة الاجتماعي في ذلك العصر وهو الرق وتعدد الزوجات. فإن الذي يجمع بين زوجين عربية وفارسية وبين أمتين تركية ورومية لا ينبغي أن يرجوا أبناء متشابهين في الطباع والأخلاق، على أن للرق وتعدد الزوجات اثر في المرأة. وإذا أضيف إلى ذلك ما بين الضرائر من النفور، وما يتاثر به من الدفاع عن أمه، يعرف كم عدد الأسباب التي اجتمعت على إفساد الحياة الاجتماعية وإفساد الأسرة[2].

ولقد زخر ديوان "لزوم ما لا يلزم" وديوان "سقط الزند" بإشعارات متعددة إلى ذلك الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي وانتشار الجهل قوله في لاميته سقط الزند[3] :

ولمَّا رَأَيْتُ الجَهــلَ في النَّاس فاشيٍ *** تَجَاهـلتُ حتَّى ظَـنَّ إني جَاهِــلٌ

فَوا عَجَبَا كَمْ يَدَّعِي الفَضْلَ نَاقِصَ *** و وأَسَفا كَمَا يَظْهَرُ النُّقْصَ فَاضِلٌ[4].

وعن النفاق والرياء المتفشيين في المجتمع يقول المعري :

يَجُرُّونَ الذّيُولَ عَلى المِخَازي *** وقَدْ مَلَئَتْ مِنَ الغِشّ الجيُوبِ

[1] شوقي ضيف، تاريخ الدب العربي، دار المعارف بمصر (د.ت) ط8، ج4، ص 45.

[2] طه حسين: تجديد ذكرى أبي العلاء، ص 73.

[3] طه حسين وجماعة من الأساتذة: شروح سقط الزند، الدار الثقافية للطباعة والنشر، القاهرة، 1945 (د. ط)، ص193.

[4] المرجع نفسه، ص193.

وِلِلإِنْسَــانِ ظَـاهِرَ مَا يَـرَاهُ *** وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا تُخْفِي العُيوبِ[1].

لقد تاثرت الحياة الاجتماعية في عصر المعري بسوء السياسة وسوء تدبير الحكام فنتجت عن ذلك الفوارق الطبقية وضعف الوازع الديني والخلقي وتفشت اثر ذلك الخصال الذميمة من نفاق ورياء كما أن الحالة الاقتصادية قد تاثرت بتلك الأوضاع وقد عكس المعري ذلك في مؤلفاته وخاصة في ديوان لزوم ما لا يلزم الذي يحوي أكثر قصائده[2].

ثالثا: الحياة الأدبية :

قد فرض ذلك علينا أن نتناول بالبحث والتحليل للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر أبي العلاء وهنا نتساءل هل كانت الحياة الأدبية في ذلك العصر كسائر مناحي الحياة أم أنها كانت بمعزل عن تلك الأوضاع.

إنّ المجتمع الإسلامي في العصر العباسي شهد نموا وازدهارا لم يشهدهما من قبل ورافق هذا الازدهار في جميع مناحي الحياة وان تحدثنا قبل ذلك عن فساد الخلفاء وحواشيهم لكن هذا الازدهار السياسي قد تبدل إلى ركود وضعف في العصر العباسي الثاني، لكن الحياة الأدبية لم تشهد ذلك الانحطاط الذي رافق سائر شؤون الحياة وإنما كان ذلك العصر، عصر رقي في الأدب والازدهار[3].

حاول المؤرخون التوفيق بين التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي والغالب من هؤلاء المؤرخين يقسم العصر العباسي الذي يبدأ تاريخه السياسي من سنة اثنين وثلاثين ومائة وينتهي سنة ستة وخمسين وستمائة أحدهما عصر الرقي وينتهي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي ملك فيها الديلم بغداد والثاني عصر الانحطاط وينتهي بانتهاء الدولة.

أما جرجي زيدان فقد قسم العصر العباسي إلى أربعة أطوار:

- العصر الأول: من ظهور الدولة العباسية سنة اثنين وثلاثين ومائة إلى خلافة المتوكل سنة اثنين وعشرين ومائتين.

[1] كمال اليازجي: ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، ص 93.

[2] طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء المعري، ص37.

[3] عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، (د.ت)، ج3، ص173.

- العصر الثاني: من خلافة المتوكل سنة (232هـ) إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة (334 هـ).

- العصر الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة (334 هـ) وإلى دخول السلاجقة بغداد سنة (447 هـ).

- العصر الرابع: من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتار سنة (656 هـ)[1].

عاش المعري حسب التقسيم الأخير، في العصر العباسي الثاني وقد كان عصره هذا من أضخم العصور الأدبية في عهد العباسيين ، بالرغم ما اعتراه من اضطراب سياسي وانحطاط خلقي ومن فتن وأهوال، إذ أن هذا الاضطراب السياسي قد عاد على الأدب بفوائد لا تنكر، حيث عمد كل أمير إلى حشد طائفة من العلماء والأدباء يباهي بهم خصمه فازدهر الأدب ونما الشعر وتعددت المدارس العلمية والأدبية وأتت الترجمات عن اللغات الأعجمية وظهور الفلاسفة كالفارابي وابن سيناء.

فقد شهد هذا العصر أكبر شعراء العربية كأبي الطيب المتنبي و أبي العلاء المعري والشريف الرضى وغيرهم[2].

أما بلاد الشام في عصر المعري، رغم الفتن والاضطرابات التي كانت يشهدها بين حين وآخر فإن ظروفها لم تكن ملائمة على الإطلاق للآداب، ومع أن عصر سيف الدولة الزاهر كان قد انقضى، فإن النهضة التي بدأها ذلك الأمير لم تكن فقدت حذوتها بعد وكانت شهرة الشام الأدبية عظيمة في ذلك الوقت[3].

[1] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليل شوقي ضيف، دار الهلال، ج2، ص10.

[2] كمال الكيلاني، رسالة الغفران، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص50.

[3] ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة عن المستشرقين، النسخة العربية، دار الشعب القاهرة، القسم الثامن، ص 547.

رابعا: الحياة الدينية :

الإسلام دعوة لترقية الإنسان ماديا ومعنويا، ويبعث في روحه الإيمان والدليل على ذلك أن الإسلام يحثه على النظر العقلي في قوله تعالى ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾[1].

وبما أن الديانات كلها من الله سبحانه وتعالى والإسلام خاتمها، ولكن الحقيقة أن كثيرا من المسلمين بعدوا عن الدين الصحيح فهم عرفوا مبادئ الإسلام ولكنهم بعدوا عن أخلاقه وفي عصر المعري اشتد التناقض في الأديان رغم منبعها الواحد فتراه يقول:

ومَا أَسْلَمَ المسْلِمونَ شَرَّهُمْ *** ولا يَهودَ لِتَوْبَةَ هـادُوا

ولاَ النَّصَارى لِدِينِهِم نَصَروا *** وكُلُهُم لي بِذَلِكَ أَتْهَادُ[2]

ويميز أبو العلاء المعري الإيمان الواحد المطلق من الأديان المتعددة المختلفة فيرى أن وراء جميع هذه الأديان المتناقضة إيمانا واحدا مطلقا يتساوى فيه جميع المؤمنين.

وفي هذا العصر تداعت فيه الحياة الدينية فكثر الخلاف والجدال وتعددت المذاهب والبدع وانتشر الجهاد والتفلسف وشاعت فيهم الإلحاد والزندقة ومن الدلائل على الاختلاف الأديان أن هناك نوعين من المسيحية يتبع المفكرين نوعا وتتبع الكنيسة وعامة الناس نوعا آخر بعيدا عن النوع الأول، في حين أن مبادئ الإسلام واحدة عند جميع المسلمين ومفكريهم[3].

ولا شك أن الانحراف في الأديان هو الذي سبب الصراع بين معتنقيها وإلى جانب الاختلاف في الأديان فقد تعددت المذاهب في عصر المعري ومعهما المعتزلة حيث يقول:

ومُعْتَزِلِي أوافق ساعه *** أَقُول لَهُ: في اللَّفظِ دِينُكَ أَجْزَلُ[4].

كما ظهرت الأشاعرة والمرجئة وكذلك الصوفية وهو إلى جانب وجود فرق الإسماعيلية وكذلك ظهرت الزندقة في عصره وعلى العموم كثرت الفرق المسلمة التي تكفر بعضها بعضا وخلاصة الأمر

---

[1] سورة الحشر: آية (02).

[2] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر أبو النصر، ص347.

[3] سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، بين الفلسفة والدين ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1(د، ت) ،ص 45.

[4] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر أبو النصر، دار الجيل بيروت، ص 260.

فإن اختلاف المذاهب والعقائد أدى إلى ظهور الصراع بينها وقد انعكس ذلك على سلوك وعقول الناس مما أدى إلى ضعف العقيدة الدينية، وكان الانقسام الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب اثره البالغ في طبيعة علاقة هؤلاء الناس بعضهم ببعض، فقد كثرت الصراعات الفكرية واتسعت وأدت إلى الصراع الميداني. فالمعري ينصح الناس بالابتعاد وعن هذه المذاهب لأنها سبيل لكسب المعاصي[1].

[1] ينظر: المرجع السابق، ص ص 261-263

المبحث الثاني : حياة أبي العلاء المعري

عانت الدولة العباسية التمزق السياسي والتفكك الاجتماعي بين الدويلات الإسلامية الموحدة ولم تخل معرة النعمان التابعة لإمارة حلب من نشوب الصراعات بين العدنانيين والفاطميين من جهة وبين قبائل الروم والبدو من جهة أخرى، وفي هذا الجو المليء بالاضطرابات والصراعات شاء الله أن يفتح أبو العلاء المعري عينية على هذا الوجود وفي ظل الحروب، فكل هذه الأوضاع صبغت حياته بصبغة سوداوية تجلى ذلك في سلوكه ومعظم كتاباته، فكان ناقما على الدنيا وعلى مولده معتبرا إياه جناية (هذا ما جناه أبي علي) ونحن في هذا الصدد سنحاول إيجاز مسيرة حياته والكشف عن خبايا هذه الجناية حسب زعمه.

أولا:نسبه : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرب بن ربيعة بن أنور بن أحسم بن أرقم بن النعمان بن عدي وينتهي نسبه العلى إلى قصاعة وهي قبيلة متشعبة وهناك من يصلها بسعد بن عدنان ويرقى بها إلى يعرب بن قحطان[1].

ثانيا:حياته : فتح المعري عينيه على الوجود في يوم الجمعة الثامن والعشرون ربيع الأول سنة (363 هـ) الموافق لـ (973م)، قبل مغيب الشمس، لما بلغ الطفل وبلغ السنة الرابعة أصيب بمرض الجدري فأذهب بعينية اليسرى وغشي اليمنى بياض، وقبل إتمامه السادسة فقد حاسة البصر جملة واحدة[1]. وقد اختلف المؤرخون في سنة إصابته بهذا الوباء فهناك من قال في الثالثة من عمره أمثال الصفدي (.. وجدر في السنة الثالثة من عمره)[2].

وابن أبي جعفر في لسان الميزان، ولكن الضرير الغلام يؤكد :

قُضِيَ عَليَّ وأَنا ابْن أَرْبَعَ *** لا أُفَرِقُ بَينَ البَازِلَ والرُّبْعِ

[1] عمر الفروخ ، الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د .ط. ت)، ص244.

[2] صلاح الدين خليل بن أبي بكر الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، اختصره عبد الله بن عثمان، ص27.

فحرم ألوان الحياة ولم يعرف منها سوى الأحمر لأنه ألبس حين مرضه ثوبا مصفرا، ورغم فقدانه البصر ظل تواقا للعلم والتعلم فالتصق بعلماء المعرة ينهل من مناهلهم فما سمع شيئا إلا حفظه وما حفظ شيئا ونسيه فأخذ عن أبيه وبعض شيوخ المعرة مبادئ اللغة والنحو والأدب (قرأ القرآن على جماعة من الشيوخ وقرأ اللغة والنحو على والده و بكل محمد بن مسعود بن محمد بن يحيى بن فرج النحوي)[1].

فزاد على حزنه حزنا وأسى بسواد عينيه إلى قلبه فانقطع عن الناس وعن ملذات الحياة وحرم نفسه أكل الحيوان وسائر ما يخرج منه، ومال إلى الزهد وكنى نفسه برهين المحبسين وهذا ما يحب أن يدعى به يقصد البيت والعمى لكنه ناقض نفسه في قوله:

أَراني في الثَلاثَة مِن سُجُوني *** فَلا تَسْـأَل عَنِ النَبَأِ النَبيــثْ

لِفَقْدي نَاظري، ولُزوم بَيْتي *** وكَونِ النَّفْس في الجَسَدِ الخَبيثْ[2].

فانكب المعري في عزلته على الدرس والتدريس وفي تسبيح الله وتحميده وفي مراسلة الاخوان ومن بين إحدى الرسائل التي يتبادلها مع داعي الدعاة الفاطمي شرح سبب تحريمه لحم الحيوان، بأنه امتنع عنه لأنه عبد فقير ولما عرض عليه المساعدة اعتذر وقال تركت ذلك رأفة بالحيوان[3].

ثالثا:موت أبيه :

اختلف المؤرخون في تاريخ ومكان وفاة عبد الله بن سليمان فأغلبهم يرى أنه توفي سنة 377هـ وعمر المعري وقتها أربعة عشر سنة او خمسة عشرة سنة فرثاه قائلا :

لقدْ مَسحْتَ قَلْبي وفاتَك طائِرًا *** فَأقســمَ ألا يَسْتـقِرَ عَـلَى وَكَــنِ

يَقْضي بَقـايا عَيــشَه وجَناحَهُ *** حين الدَّواعي في الإقَامَة والظغن

كَـأنَّ دُعَاءَ الموتِ باسْمِكَ نَكِرَة *** فرَّت كَبِدي واسمٌ يَنْفُثُ في أُذُني

[1] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح : عمر أبو النصر، ص09.

[2] المرجع نفسه، ص249.

[3] عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج3، ط1، (د.ت)، ص246.

فهذه الأبيات قد حيرت العلماء فكيف لغلام لم يبلغ السابعة عشر أن ينظم قصيدة بمثل هذا الإتقان والجمال، إلى أن ظهرت الحقيقة في كتاب ابن العديم الإنصاف والتحري في رفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري وهي أن (والد أبي العلاء المعري واسمه الكامل عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المطهر قد توفي بمعرة النعمان سنة (395 هـ) (1004-1005م) وعمر أبي العلاء المعري يومذاك اثنان وثلاثون سنة. وكان هذا الوالد العزاء الوحيد لابنه الضرير ومن هنا بدأ السواد يدب إلى قلب المعري. [1]

رابع:رحلته إلى بغداد:

بعد موت أبيه غادر المعري متلهفا لعلاقات أهلها الذين ليس عالم أعلم من علمهم ولا أروى راويهم ولا أجدل من تكلمهم ولا أعرب من نحويهم، فتضاربت الأقوال في أسباب هذه الرحلة التي عارضتها أمه في بادئ الأمر، لكن ابن العديم رد عليها: «رحل إلى بغداد لطلب العلم والاستكثار منه والاطلاع على الكتب في بغداد ولم يرحله لطلب دنيا ولا رقد»[2].

وحين نزوله بها أقام في مسكن في حي سويقة ابن الغالب ومكث في بغداد سنة وسبعة أشهر لم يترك خلالها بيت علم للعلم إلا وزاره ولا عالما إلا وحاورهم وأخذ من علمه، ولقد كان عازما على الاقامة بها اخر الدهر حيث قال:

أَثَارَنِي عَنكُم أَمـــرَان والـــدَة *** لَمَ أَلقَـهَا وثَـراءَ عَـادَ مسوفتا

أَحيَاهُمَا الله عَصرَ البَينَ ثُمَ قَضَى *** قَبلَ الايَاب إلى الذَخرين أَن مَوتًا

لَولَا رَجَـاءُ لقائها لمِـا تَبعَت *** عَنسي دَليلًا كَسر العَمد أَصلَيتًا.

وصل إسم المعري إلى بغداد قبل وصوله الذي كان محفوفا بالمصاعب[3] وما إن حط الرحال ولج مكاتبها وقرأ كتب الفلسفة والحكمة وجلس في عدة مجالس واشترك في مجامع أدبية وعلمية ولكن

[1] عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، د ط، د ت، ص 86. نقلا عن ابن العيدان، الإنصاف والتحري في رفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري، ص 993.

[2] عمر فروخ، حكيم المعرة، دار لبنان للطباعة والنشر، د ط، د ت، بيروت، لبنان، ص26. نقلا عن ابن العيدان، ص ص 105 – 125.

[3] عمر فروخ، المرجع السابق، ص 126.

الإقامة لم تكن هانئة فكما كان له أصدقاء وله أعداء ينقصون قيمته ومكانته العلمية، ومن بين المواقف التي حزّت في نفس المعري ما فعله به المرتضى في مجلسه : حين انتقض المتنبي وكان المعري يحبه ويستعصب له فرد: «لو لم يكن له إلا قوله: لك يا منازل في القلوب لمنازل لكفاه»، فغضب المرتضى وأمر بسحب المعري خارج المجلس وشرح سبب اختياره لهذه القصيدة دون غيرها من قصائد المتنبي وذلك عرض لقوله:

وإذا أَتَتْكَ مَذَمَتي مِنْ نَاقِصٍ *** فَهْيَ الشَّهَادَة لي بِأَني كَامِل[1].

فمثل هذه المواقف تزيد المعري نقمة بالدنيا وناسها وتترك اثرها في نفسه.

خامسا:وفاته وآثاره :

ظل المعري يغرف من بحر العلم ما استطاع ويروي بعلمه من أراد إلى أن أقعده المرض،سقطت أسنانه وانحنى ظهره ووهن جسده، وتخاذلت أعضاؤه فما عاد يستطيع النهوض إلا بمعونة سواه وعجز عن القيام للصلاة وإنما يصليها قاعدا (...)[2]. وبقي على هذه الحال إلى أن مرِض مرَض الموت ثلاثة أيام ولما حضرته الوفاة ذكر القبطي في "إنباه الرواة على أنباء النحاة" عن عبد الله الاصفهاني :«أتاه القاضي الأجل أبو محمد عبد الله التنوخي بقدح للشرب فامتنع من شربه فحلف القاضي أيمانا مؤكدة لا بد أن يشرب ذلك القدح وكان سكنجين فقال أبو العلاء:

أَعْبُدُ اللهَ خَيرٌ مِنْ حَياتي *** وطولَ ذِمائِهَا مَوتَ طَرِيحْ

تُعَلِلُني لـتَسْقيني فَذَرْني *** لعلّي أَسـتَرِيحُ وتَسـتَرِيحْ[3].

فكانت وفاته يوم الجمعة في النصف الأول من ربيع الأول (449هـ) أوائل آذار (1057م).

ففجعت البلاد برحيل فيلسوف الشعراء عنهم وكانت وصيته الأخيرة أن يكتب على قبره:

هَذا مَا جَناهُ أبي عَلَيٍ *** وما جَنيتُ عَلى أَحَد

[1] طه حسين، المجموعة الكاملة، ص 157.

[2] عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص 271-272

[3] أبو العلاء المعري، سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين، الدار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص 12.

معبرا بها عن مأساة حياته وموقفه من الدنيا فهو:

رَفَضَ الحَياةَ وماتَ قبلَ مماتِهِ *** مُتطوّعا باثر مَا يَتَطَوَّعُ[1].

التف حول قبره قرابة الأربعة والثمانين شاعرا يرثون شاعر الحَكمة والفلسفة ومن بينهم تذكر أبا الرضى عبد الواحد بن الفرج المعري.

سُمْـرُ الرِّماحِ وبيـضُ الهِندِ تشور *** وفي أَخْــذِ ثَأرِكَ والأقْدَار تَعتَذِرُ

والدَّهْرُ فَاقِدَ أَهلِ العِلمِ قاطبـَةٌ *** كَأنَّهُم بِكَ في ذا القَبْرِ قَدْ قَبـرِوْا

فَهَـلْ تَرِدُ بِكَ دَارُ العِـلْمْ عَـالمِةٌ *** أنْ قَدْ تَزَعْزَعَ مِنْها الرُّكْن والحَجَرُ

العِلمَ بَعْدَكَ عَمَدَ فاتَ مُتَصلة *** والفـَهـمَ بعــدكَ قوسَ مالهَا وتَرُ

مضى مقطوع النسل مجتث الفرع لكنه ترك تراثه وعاش من خلال مواهبه الفطرية التي أوتيها والعلوم الفلسفية والأدبية التي حصلها بجهده واجتهاده، وعماه الذي أبعده على نشت الباصرة وعزلته التي مكنته من التوفر على التأليف، كل ذلك أتاح له أن يبرر على هذا الوجود تأليفه الكثيرة وأن يحيا من خلالها، قد بلغت على رأي القفطي خمسة وخمسين مصنفا، وبلغت فيما أحصى ابن العديم سبعة وستين مصنفا أثبتها في كتابه "**الإنصاف والتحري في رفع الظلم والتحري عن أبي العلاء المعري**" وبالرغم من اختلاف العدد تبقى هذه المصنفات ذات قيمة عالية ومكانة عظيمة إذ لا تخلو مكتبة عربية من أحد هذه المصنفات :

أ.سقط الزند : هو ديوان شعري يحوي مجموعة قصائد نظمها أيام شبابه في المدح والرثاء، وقد شرحه عدد من الكتاب من بينهم "أحمد شمس الدين" حيث استهل في مقدمته ترجمة موجزة لحياة المعري، ثم تلاه بخطبة يشرح فيها المعري، مواضيع قصيدة وغاية شعره: «الشعر للخلد مثل الصورة لليد يمثل الصانع مالا حقيقة له ويقول الخاطر ما لو طولي به لأنكره».

[1] عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص277.

ومن بين الأغراض نذكر الرثاء إذ يقول في مرثيته الشهيرة[1]:

تَعِـبَ كُلُهَا الحَيـَاةُ فيــما أَعْجَ *** ـبُ إلاَ منْ راغبِ في ازدياد

إنَّ حزنًا في ساعةِ الموتِ أَضعا *** فُ سُرورِ في سـاعةِ الميــلادِ

ويحتوي ديوان سقط الزند على مقطوعات وقصائد تعرف بـ " الدرعيات" وهي موجودة في آخر ديوان التي اكتسب اسمها من وصف الشاعر فيها أنواع الدروع وهي تبلغ واحد وثلاثون قصيدة منها:

حَنَتْ دِرعي إذْ مِنْ الدهرِ صَرْفي *** بِما سيتركَ الغنيَ فقيرًا[2].

ومن هذه الدرعيات يقول أنيس المقدسي: «إن الذي يطالع هذه الدرعيات يعجب من رجل كأبي العلاء المعري يتصرف إلى موضوع كهذا الموضوع، فيبذل جهده ويكد نفسه في أوصاف ومجازات وعبارات الطائل تحتها وليس لها أقل علاقة بنفسه أو حياته ولا يسعنا أن نقول فيها إنها في الأرجح إدارة استعملها "المعري لإظهار مقدرته اللغوية"»[3].

وغيرها من القصائد التي تعبر عن حال المعري في الأطوار الأولى من حياته التي جسدها المعري أحسن تجسيد.

ب.رسالة الغفران : وهي قصة خيالية فريدة من نوعها في الأدب العربي فقد أورد الأستاذ "حسن فعور" ترجمة موجزة للمعري في مقدمته حين قام بشرح الرسالة، كما ذكر سبب كتابتها إلى علي بن منصور الحلبي المعروف "ابن القارح"، جوابا على رسالة أرسلها إليه يذكر فيها شوقه إلى لقائه، وينحى فيها على الزندقة ويتنقض الوزير المغربي صديق أبي العلاء، فأجابه هذا برسالة طويلة ماهي إلا (الكوميديا الإلهية) مسرحها الجنة والنار قد ضمنها فنونا شتى من اللغة والأدب والإخبار.

وكان هادفا من ورائها تبيين سعة العفو لله ليدلهم الناس على كثير من أهل الإسلام والجاهلية، ممن يظنّ نفر من الفقهاء ومن المتعنتين أنهم من أصحاب النار يمكن أين يكونوا من أهل الجنة وأن يكونوا

[1] عائشة عبد الرحمن، مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص19.

[2] عمر فروخ، حكيم المعرة، ص 46.

[3] أنيس المقدسي، أمراء الشعراء العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1983، ص 339.

قد نالوا النجاة من النار بإيمان الله أو بعمل صالح أو بنية طيبة بقطع النظر عما اشتهروا به في حياتهم أو كما رماهم به الناس من الكفر والزندقة[1]. فقد لاقت هذه الرسالة العديد من الانتقادات كما لاقت العديد من الكتاب الذين يجدون في شروحها مثلما فعلت عائشة عبد الرحمن.

ج.الفصول والغايات :

والمقصود بالغاية القوافي لأنها غاية البيت «وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف...، وفي الكتاب قوافٍ تجيء على نسق واحد وليت الملقبة بالغايات..»[2]. وقد اتهم من خلاله المعري بمعارضة القرآن الكريم وعلى عكس ما قيل فإنه يمجّد الله أفضل تمجيد، وهو ينبّؤنا على سبب تأليفه لهذا الكتاب في قوله: «علم ربنا ما علم، أنّي ألفت الكلم آمل رضاه الملم واتقي سخطه المؤلم فهب لي ما أبلغ به رضاك من الكلم والمعاني الغراب»[3].

فالفصول والغايات «كتاب العضات سبّح فيه المعريّ صنع الخلاق وبديع السموات والأرض فقدم الدليل على إيمانه القويم»[4].

د.اللزوميات:

وهو ديوان شعري ضخم مرتب على حروف المعجم التزم فيه المعري ما لم يلزم، وهو يشمل ما نظمه من قصائده أيام كهولته، فقد وضع (عمر أبو النصر) الشارح للزوم ما لا يلزم مقدمة بعنوان "الأعمى الخالد" يوجز مسيرة حياة هذا الشاعر المناضل[5].

ولنا وقفة مطولة على هذا الكتاب الفلسفي الجامع لآراء المعري فقد تاثرت كتابات المعري بعدة عوامل من أبرزها البيئة التي عاش فيها والتي أنتجه لنا مؤلفات مليئة بالأمثال والحكم وخصوبة الخيال

[1] عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، ص 124-125.

[2] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر أبو النصر، ص03.

[3] طه حسين المجموعة الكاملة، أبو العلاء المعري، ص243.

[4] سناء خضرة، النظرية الفلسفية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، د ت، ص32

[5] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص325-326.

وتميز بالأسلوب الساخر والتهكم عامة كما وصفها طه حسين بوصفين لازمين أحدهما "العفة المطلقة" فإنك لا تجد في شعره أو نثره كلمة كتلك الكلمات القبيحة التي عاشت في عصره وحافظتها يتيمة الدهر... الثاني تأثير العلوم المنتشرة في سقط الزند والرسائل)[1].

سادسا:مكانته في تاريخ الأدب العربي:

لقد خلد الأدب العربي المعري وجعل له مكانة مرموقة في التاريخ الأدبي وذلك يعود إلى:

1. طرحته في مهاجمة ما كان يراه فاسد.
2. صرف الشعر إلى مواضيع عمرانية أخلاقية لم يسبق إليها.
3. تطبيقه الحكمة على نفسه وإظهاره مبادئها في حياته.
4. زهده الحقيقي وترفعه عن أغراض الدنيا.

وذلك برغم الشذوذ الفكري الذي حمله أحيانا أقصى التطرف وجعلها هداما لا يحسن البناء وتحرّجه اللغوي الذي دفعه مرارًا إلى ركوب أخشن المراكب توصلا إلى معانيه، على أنّ المعري برغم ذلك الشذوذ وذلك التحرج، هو تلك الشخصية التي تجمع بين الإخلاص والشدة وذلك في خدمة الحقيقة كما تتراءى له والشدة في مهاجمة أهل الفساد.

وهو هنا يختلف عن سائر الشعراء الذين لمعوا في تاريخ الأدب العربي إذ ليس لأحدهم مهما تسامت مكانته الفنية ما للمعري من النظر إلى الحياة التي تعجّ حوله ومحاولة نقدها، كان الشعراء قبله لا يرون في الحياة إلا أنفسهم ولا يرون في الأدب إلا ما يوصل إلى أغراضهم فجاء المعري ينظر إلى البيئة التي تحويه محاولا رفعها وإصلاح شؤونها، على أنه لم ير فيها غير أوجه الفساد والظلام، فجاء شعره قاتم اللون كأنما هو مصباح تنفذ أشعته إلينا وراء زجاجة سوداء[2].

[1] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر أبو النصر، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ص 45.

[2] أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، 1989، ص 417،418.

المبحث الثالث : الجدة في (اللزوميات – رسالة الغفران)

أولا:اللزوميات

أ.مفهومها:

لغة : من مادة لزم وصار الشيء ضربه لازم كلازب، والباء أغلى وفي قول محمد ابن الحنفية وهو في حسب ابن زبير:

بِحَيْثُ الحِمَامُ آمِنُ الرَّوعِ ساكنٌ *** وحَيْثُ العَدوُّ كالصديقِ الملازِمُ[1].

وجاء في مقاييس اللغة في مادة (لزم): اللام والزاء والميم أصلٌ واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائما يقال: لزمه الشيء يلزمه. واللزام : العذاب الملازم للكفار[2].

اصطلاحا:

لقد اعتبر علماء الأدب أن لزوم وما يلزم نوع من البديع اللفظي وقد عدّه "ابن المعتز" من محاسن الكلام ومثّل له وعرّفه بأنه : «اعنات الشاعر في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له»[3].

وقد عرفه القزويني بقوله :«هو أن يجئ قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم من السجع»[4].

ومعنى هذا أن يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي وبأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.

ولزوم ما يلزم من فنون البديع اللفظي الذي يراه في النثر والنظم على السواء ثم وأنه وردفي القرآن

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين عبد الوهاب، محمد صديق العبيدي، ج6، دار التراث العربي، لبنان، بيروت، ط2، ص4028. مادة (لزم).

[2] الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقايس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 918.

[3] عبد العزيز العتيق، علم المعاني (البيان ، البديع)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص65.

[4] الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط03، ص115.

الكريم شيء منه إلا أنه يسير جدا فمن ذلك قوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾[1].

وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾[2].

وقد التزم في ديوانه اللزوميات أن تكون القافية على حرفين أي يلتزم حرف لو أسقطه كما كان متجاوزا قواعد القافية وسمي كذلك الالتزام والتجديد.

ولزوم ما لا يلزم وهو في المنظوم يبني على حرف المعجم يذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة وهي: الضمة، الفتحة، الكسرة والوقوف (السكون)[3].

وهي ديوان شعري ضخم مرتب على حروف المعجم التزم فيه المعري ما لا يلزم وهو يشمل ما نظمه من قصائده أيام كهولته.

ومن هنا نستطيع القول بأنّ اللزوميات شرح فيها الشروط التي قطعها على نفسه[4]، وقد التزم فيها بأسلوب نقدي متميز يدل على علو كعبه في اللغة والأدب.

ب. سبب تسميتها:

يعتبر أبو العلاء المعري رائد هذا الفن الذي أجاد فيه وبرع وأكثر كلامه المنثور، وسلك فيه هذا المنهج، واللزوميات ديوان مشهور لأبي العلاء المعري ولفظ اللزوميات، أو لزوم ما لا يلزم هو شعار أبي العلاء المعري في جميع أطوار حياته، وهي ليست نتيجة العمال وإنما هي نتيجة الفراغ واللعب والعبث إنها نتيجة عمل دعا إليه الفراغ ونتيجة جدٍ جَرّ إليه اللعب.

وهذا الديوان وليد عهد العزلة أخذ المعري في نظمه بعد أن عاد من بغداد إلى المعرة، ولا نعلم بالضبط كم من السنين سبخ في نظمه والراجح أنه كان ينظمه تباعا بحسب اتساع الوقت واقتفاء المناسبات ويرى "طه حسين": «أن المعري لم يكن يتفرغ لهذا إلا آناء الليل وأطراف النهار في

[1] سورة العلق، آية 01-02.

[2] سورة الضحى، آية 09-10.

[3] ينظر: موسى بن محمد بن الميلاني، المتوسط الكافي في علم العروض والقوافي، ص74.

[4] أبو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر أبو النصر، ص 03.

ساعات الأرق وأوقات الخلوة التامة، فمن الصعب إذن أن نجد الوقت الذي اقتفاه في نظم الديوان بالضبط أو الفترة التي شغلها هذا العمل في عهد العزلة»[1].

وأبو العلاء في ديوانه ألزم نفسه من القيود في الشعر بحرفين في القافية التزم في كل أبيات القصيدة بحرف واحد وهو (الروي) وهو يدل على معاناة الشاعر وبراعته وإكراه نفسه على ركوب كل صعب ويولي القوافي على حسب حروف المعجم. حتى يستوي فيها كلها، ولما كان كل حرف قابلا لثلاث حركات والسكون رابعا. أما الألف اللينة فلا تقبل إلا السكون، فإن أبواب اللزوميات كانت مئة وثلاثة عشر بابا[2]، وقد صرف عن الحياة الاجتماعية والمنزلية وعن طيبات الحياة وسيئاتها فقد كانت أوقات فراغه طويلة شاقة، فأما ذاكرته أو حافظته فقد وجد فيها ألفاظ اللغة العربية وأما عقله فقد وجد فيه ما حصّل من العلم على اختلاف ألوانه، وكان يعبث بالألفاظ والمعاني والشعر الحر الذي يقوله الناس جميعا فيلتزمون أوزانه وقوافيه المعروفة، والشعر المقيد هو الذي يقوله أبو العلاء فيلتزم فيه ما لا يلزم[3].

وهو لا يلتزم ما لا يلزم كالقافية وحدها وإنما يلتزم ما يلزم من المعاني أيضا، وهذا هو سبب تسميتها اللزوميات ولم يسبق أحمد من الشعراء إلى هذا الالتزام[4]، إلا "كثير عزة" في قصيدة واحدة من قصائده مطلعها:

خليلتي هذا ربع عزة فاعقلا *** فلوصيكما ثم ابكيا حيث خلب[5].

وقد انتهج أبو العلاء ثلاثة طرق في نظمه:

- الأولى: أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها.
- الثانية: أن يجيء رويه بالحركات الثلاثة والسكون بعد ذلك
- الثالثة: أنه لزم مع كل روي في شيء لا يلزم من باب (باء و تاء) او غير ذلك من الحروف.

[1] طه حسين، المجموعة الكاملة (أبو العلاء المعري)، ص386.

[2] محمد التونخي، المعجم المفصل في الدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 736.

[3] ينظر طه حسين، المجموعة الكاملة، ص 387-389.

[4] المرجع السابق، ص 389.

[5] ينظر محمد التنوخي، المعجم المفصل في الأدب، ص 736.

ونهجه هذا يعد اقترابًا فنيًا من صورة القافية التامة للموسيقى الممكنة علميا دون إخلال المعنى.

وأما الغاية من نظم هذا الديوان فهي التحذير من شر الدنيا والحث على فعل الخير التماسا للثواب في الآخرة، وهذا الديوان واسع الانتشار في البلاد العربية، فلما تخلو منه المكتبة ذات شأن عامة كانت أو خاصة وهو من أشهر الدواوين عند أدباء العربية ولقد طبع هذا الديوان عدة مرات ونفذت طباعتها جميعها[1].

ج. مضمون اللزوميات:

إنّ الشعراء في العصر العباسي اقتصر إنتاجهم على الوصف الظاهري من وصف الحياة الخلاعية في مستهل العصر العباسي وكذلك الوعظ الديني والإرشاد الأخلاقي والأحداث القتالية والسياسية، ولكن نجد شاعر المعرة " أبي العلاء" أن نظراته لم تكن وصفية كالذين سبقوه بل كانت نظرة فلسفية وبالتحليل والانتقاد تمهيدا للإرشاد والإصلاح وأن الحياة بدت له كل متماسكا تتصل أجزاؤه على اختلافها وتباينها فيؤثر بعضها في بعض فسادا وإصلاحا وكل هذا تجلى في لزومياته وموضوعاتها من مجتمع واقتصاد والأخلاق، التاريخ، الأدب، الدين والفلسفة وعلم الكلام، المسائل الكلامية، ومنه نوضح ذلك:

الأخلاق: وهو الأمر الظاهر الذي تثبته الانتقادات المرة التي هاجم بها أهل عصره والمواعظ الكثيرة التي حاول أن يرشدهم بها إلى جادة الصواب من خلال ما تفشى في عصره من طغيان على اختلاف صوره من ظلم وطمع وأذى وذم وانتشار الخداع بألوانه الكثيرة من غدر واغتياب وكذب ونفاق وتفشي كذلك الفساد والضلال والجهل والعيش والتمرد والعصيان ومن خلال ما رآه أشفق عليهم فاندفع بكل قلب طيب يعالج فسادهم بالإصلاح ويدعوهم إلى الاستقامة على اختلاف مظاهرها من صدق وصراحة وإخلاص ونزعة والتواضع والحلم والصبر والتضحية وهذا ما حافل به ديوانه.

المجتمع: إن الفساد الأخلاقي في عصره استتبع الفساد الاجتماعي لأن أخلاق الجماعة مكونة من أخلاق الفرد فإذا فسدت الأجزاء فسد الكل فلقد ساء المعري إلى ما آل إليه العصر من مشاكل

[1] ينظر: أبو العلاء المعري ولزومياته، دار جيل بيروت، ط02، ص 88.

اجتماعية التي تبدأ بالأسرة الواحدة وما فيها من مشاكل الزوجين إلى الأولاد وخروجا إلى المجتمع وحين رأى ذلك كله كره المجتمع، ونفر من الناس واثر أن يقبع في كهفه بعيدا عن أعينهم لأنه رأى أن إرشاده لهم صرخة في واد أي أن عيوبهم كانت مجسمة فيهم[1].

السياسة: كانت السياسة في عصره على أسوء حال وكانت الخلافة في غاية من الضعف وكان الأمر والنهي بيد الأمراء والوزراء وكان النزاع مستمر من تنازع على الحكم وغيرها وتفشي الظلم وزيغان القضاة على الحق والرشوة والطمع فهنا هاجم أرباب السياسة وانتقد المتربعين في كرسي الحكم ورماهم بالظلم والجور بلا خوف ولا وجل، ودعا الناس أيضا إلى شق عصا الطاعة وخلع نيران الظلم[2].

الإقتصاد: هذه الفوضى السياسية أعقبت اضطرابا إقتصاديا مشؤوما لأن الأحداث الحربية أدت إلى إتلاف المزروعات وهدم الجسور وتخريب قناطر الري وقلّة الأمن فتعطلت التجارة وكثرة حوادث النهب والسلب وكثرت الأزمات الإقتصادية وكثرت المجاعات وحدثت الوفيات فدعا في لزومياته إلى سلوك سبيل العدل، وإنصاف المجنون ورد الحق إلى صاحبه وحث على فعل الخير والرفق بالفقير وإيتاء الزكاة والصدقة وقد دعا إلى الاشتراكية.

التاريخ: وذكر فيه الحوادث التاريخية المعروفة والأساطير المشهورة ومن أحداث الماضي التي يكثر منها المعري استنادا إلى التاريخ ويستمد منه العبر وينقل منه الحوادث، ويروي عنه الأخبار والأساطير وعرض أيضا العديد من حوادث حياته الخاصة ونجده بورد هذه الأساطير ليثبت كذب الروايات والأحاديث وجهل السذج الذين يصدقونها ولعله يلحق بها معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء فهو لا يؤمن بشيء من ذلك.

الأدب: ونجده أنه وضح أغراضه في الشعر بالبيات السائرة وذلك بطريقة التضمين والتلميح والتعريض وذلك يدل على سعة اطلاعه في الأدب وفرط البراعة في الاقتباس والتلميح[3].

---

[1] أبو العلاء المعري ولزومياته، ص 172-173

[2] شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في الشعر العربي، ط11، دار المعارف، القاهرة، ص 382.

[3] ينر كمال اليازجي، أبو العلاء المعري ولزومياته، ص ص 176-184.

الدين: إلا أنه لم يخص باهتمامه دينا واحد فيعتمد الإسلام دون سواه ولا حصر انتقاده في اليهودية والنصرانية والأديان القديمة دون الإسلام بل أنه ضربها جميعا على المحك العقل وانتقدها بجرأة نادرة[1].

الفلسفة وعلم الكلام: ففي ديوانه أشتات من المعتقدات والنزاعات الفلسفية تسربت إليه من مصادر مختلفة من المشائية و الاشراقية الدهرية والطبيعية السوفسطائية واللاادارية وهذا ما يتعلق بالفلسفة اليونانية وكذلك الفلسفة الهندية وضربها ويشير إلى تحريم صيد الوحوش وصيد الأسماك.

المسائل الكلامية: وفي ديوانه إشارات شتى إلى كل من الفرق المشهورة منها: المعتزلة، الأشعرية وفرق أخرى فمنها القدرية والمرجئة، الجبرية، والصَفَاتية، ولكنه لم يتحيز لأي فرقة منهم بل يسفّه كتبهم إجمالا ويحذر الناس منها وينتقد أعلامهم وتعاليمهم ويزاجر من آرائهم وكلمهم أرباب جدل لا طائل تحته ويحملهم مسؤولية الإفساد في الإيمان ويتهمهم بالتبجح بالعلم وباستخدامه وسيلة للرزق. وهنا نجده لم ينحصر في الأغراض التقليدية بل تناول الحياة من نواحيها العديدة حيث جاءت تأملاته عميقة وممزوجة بحكم ومواعظ[2].

[1] أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط17، دار العلم للملايين، بيروت، 113.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص ص 199-209.

ثانيا:رسالة الغفران :

أ. مفهومها :

لغة:

من مادة غفر وقد غفره يغفره غفرا، ستره، وكل شيء سترته فقد غفرت وغفر المتاع جعلته في الوعاء، وغفراء اغفر لونها بخضاب، ويروى: اغفر لونها وكل ثوب يغطى به شيء، فهو غفارة، ومن غفارة الذنوب تغشى بها الرحال، وجمعها غفارات وغفائر.[1]

وفي معجم الصحاح: من مادة غ ف ر (الغفر) التغطية وبابه ضرب واستغفر الله لذنبه ومن ذنبه (فغفر) له من باب ضرب (وغفرانا) ومغفرة ايضا واغتفر ذنبه مثله فهو غفورا. [2]

وجاء في كتاب الأمثال للميداني قوله : اغفروا هذا الأمر بمغفرته أي: أصلحوه بما ينبغي أن يصلح به، والمغفرة في الأصل ما يغطى به الشيء من الغفر وهو الستر والتغطية[3].

اصطلاحا:

هي رسالة أملاها أبو العلاء في المعرة حوالي سنة (424هـ)، وهي تأخذ صورة رسالة اخوانية من الرسائل الطوال التي تجري مجرى الكتب المصنفة، لكنها تستهل بمقدمة غير مألوفة، يستطرد فيها أبو العلاء في رحلة خيالية في العالم الآخر، يقود إليها ابن القارح ويوجه فيها خطاه بين الجنة والجحيم ويلقنه ما يقول ويعرف .

والكتاب يقع في ثلاثمائة من الصفحات المتوسطة الحجم، مما يناهز الواحد والستين ألفا من الكلمات، وقد كتبها أبو العلاء وهو رهين المحبسين، يرد بها على رسالة رجل اسمه أبو الحسن علي بن منصور القارح الحلبي، وكان طلعة ماكرا يتوسل بمراسلة عظيم المعرة إلى الشهرة والاستفادة.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 3274.

[2] محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ،1989،ص 4200.

[3] الميداني مجمع الامثال، حققه و فصله و ضبط غرائبه و علق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية،مصر،ج2،بدون طبعة،ص61.

"وفي الرسالة طرائف أدبية، ومقاييس أدبية نقدية، ولغوية، وفنية، تعمل على عمق الكاتب وسعة ثقافته الخيالية".[1]

والرسالة من أهم أثار أبي العلاء و أغناها، و قد رأى فيها القدماء دليلا على تمكن أبي العلاء من الأدب واطلاعه حتى أولئك المتحاملين، "وله رسالة الغفران في مجلد استخفاف، وفيها أدب كثير"[2].

وقد رفد أبو العلاء المعري رسالته بروافد عدة منها : "الأساطير العربية عن الدين استهواهم الجن وأساطير العرب عن الغيلان[3]. وحكاياتهم على ألسن الحيوان، والقران الكريم وقصص الإسراء والمعراج ومجموعة الأخبار الحديثية التي تدور حول الجنة والنار، والقصص المترجمة مثل كليلة ودمنة، وأسمار الجهشياوي ورسائل الجاحظ لعلها أمدته بعنصر السخرية اللاذعة.

والرسالة تتكون من قسمين:

القسم الأول : وهو قصة الغفران .

القسم الثاني : الرد على ابن القارح، وقد صدر أبو العلاء هذه الرسالة بوصف لرسالة ابن القارح.

ب.الزمان و المكان الذي ألفت فيه الرسالة :

تقول عائشة عبد الرحمن: «غير مجهول أن الغفران أمليت بمعرة النعمان على التحديد، في أخريات الربع الأول من القرن الخامس الهجري»[4]. ومعرفة زمن كتابة الرسالة يقتضي معرفة بعض الدلائل النصية لتحديد الوجه التقريبي لكتابتها، جاء في رسالة ابن القارح: «وكيف أشكو من فاتني وعالني نيفا وسبعين سنة»[5]. فعبارته هنا تدل على أن رسالة الغفران كانت تملى بين عامي (422هـ-424هـ) حيث يكون ابن القارح نيفا وسبعين سنة ، يؤنسنا شاهدا آخر من رسالة الغفران جاء في

[1] محمد رمضان الجربي، الادب لمقارن، ط1، منشوراتEIGA، مالطا 2002، ص 128.

[2] طه حسين و آخرون ، تعريف القدماء بأبي العلاء ،ط1، الهيئة العامة للكتاب 1986، ص 189.

[3] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ) الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، مكتبة المصطفي البابي وأولاده، القاهرة 1938، ج6، ص ص 158- 214.

[4] عائشة عبد الرحمن، الغفران، دراسة نقدية،ص44 .

[5] ابن القارح، رسالة ابن القارح، ص 66

قول أبي العلاء المعري على لسان أحد شخصياته على إضاعة ابن القارح لكتاب توبته : «فسئل الك شاهد بالتوبة ؟ قال : نعم " عبد المنعم عبد الكريم قاضي حلب حرسها الله أيام شبل الدولة ".[1] وقد ولي قضاء حلب حرسها الله لشبل الدولة لصالح بن مرداس سنة (420هـ).[2]

وكما هو معلوم أن أبا العلاء المعري اعتزل الناس منذ (400هـ) إلى غاية وفاته، و هذا يؤكد أن رسالة الغفران ألفت في فترة عزلته بعد تجريب الحياة خيرها وشرها.

وبعد أن تجاوز المعري الستين من عمره أي مرحلة النضج و التأكد من الحقائق الصادقة والأخبار الزائفة، وفي هذا تقول نادية تيحال:« وقد أملى المعري رسالته هذه بعد مضي قرابة ربع قرن من عزلته وكانت حينها شهرته قد شاعت، فراسله الكثير من المسترسلين عن خصائص فكره، وقد كان من بين هؤلاء المحدث بن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الذي وجه إليه من حلب رسالة يستوضحه فيها عن بعض المسائل الفقهية، وبدلا من أن يجيبه برسالة عادية جعله يصعد إلى السماء ويرى كيف جرت وتجري الأحكام الإلهية، ويسأل ابن القارح المخلدين في الجنة بما غفر لكم؟ والمخلدين في النار بما لم يغفر لكم ؟ وماذا جنيتم ؟».[3]

كما يرد قول جعفر خرسباني: «كتبها "رسالة الغفران" سنة (424هـ) القرن الحادي عشر ميلادي يرد بها على رسالة رجل يود الشهرة اسمه علي بن منصور القارح الحلبي، وقد أحيا أبو العلاء في رسالته ألفاظا كثيرة كانت مواتا، وجاء بالنادر من اللغة والغريب والشاذ من العبارات، كما يظهر علم الشاعر بالشعر وروايته ونقده، وبالأماكن والجماعات وبالتاريخ والقرآن وتفسيره[4]».

[1] رسالة الغفران أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف،مصر،ط9، 1990، ص 256.

[2] ينظر ابن الغنيم، تاريخ زبدة الحلب من تاريخ حلب،ص131-132.

[3] نادية تيحال، أدب التمرد عند أبي حيان التوحيدي، و أبي العلاء المعري، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004/2003 (مخطوط) ،124

[4] جعفر خرسباني، أبو العلاء المعري، رهبن المحبسين دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 61.

ج. مدلولية العنوان:

يقول عبد الوهاب الرقيق وهند بن صالح :«تعد قضية الغفران القطب الذي دارت عليه رسالة الغفران فكلمة الغفران تتصدر الرسالة منذ العنوان، ثم تواترت مشتقاتها داخل الرحلة، فتردد ذكر الغفران والمغفرة والغفور»[1]، فكلمة الغفران اتخذت بمحورها امتدادات داخل المتن لتوقع بدلالاتها جذب و تشويق القارئ، وفي رأي منير سلطان: «أنّ كلمة الغفران ذات وقع جميل على الأذن بحروفها السلسة، وهي مريحة للنفس حين يكون الغفران من الله الرحمن الرحيم إلى العبد الخطاء الذي يتمنى التوبة لما اقترفته يداه».[2]

فمعنى هذا أنه لكي تستريح إذن المتلقي عليه أن يكون متفائلا، وهي من الطرق الفنية لأسلوب المعري، وحسب إشارة طه حسين فإن لأبي العلاء المعري تفننه في اختيار مسميات كتبه، فالأسماء التي اختارها كلها تحمل الاعتدال في المزاج والذوق الرفيع. «فأنظر كيف سمى المعري شرحه لديوان أبي تمام ذكرى حبيب فأحسن التورية والاختيار، وكذلك سمّى إصلاحه لديوان البحتري عبث الوليد لبيان عبث الوليد فهو اسم البحتري ... وعلى الجملة كان أبو العلاء محسنا في اختيار الأسماء كما بد ما بأيدينا من الكتب على أنه كان متقنا لتأليف المسميات ».[3]

وهذا كله دليل على إقتصاد أبي العلاء المعري في العبارة والتدليل على عمقها ومغزاها، شأنه شأن تسمية رسالة الغفران، فمن خلال الاسم تستريح النفس، ولكن بعد التبصر بعين الفعل فإنها تنفر من صاحب الفعل ابن القارح .

د.قراءة الأجناس في رسالة الغفران :

رسالة أم قصة أم مسرحية هذا النص الغفراني؟ أم إنه شيء تلفيقي جامع لكل ما ذكرنا؟ العديد من المشتغلين على هذا النص يحاولون إقحامه في خانة دون أخرى مستندين إلى بعض الحجج والبراهين مقصين عددا آخر، فبنت الشاطئ مثلا تقرُّ بكل اطمئنان بأنّ هذا الاثر قصة أو هو جماع

[1]- عبد الوهاب الرقيق وهند بن صالح، أدبية الرحلة في رسالة الغفران، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ط2، 2008م ،ص145.

[2]- منير سلطان، التضمين و التناص، وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا، منشأة المعارف،الاسكندرية،مصر،ط1 ،2004م، ص112.

[3]- طه حسين، ذكرى أبي العلاء ، ص306.

قصص عدة: يقول: «والواقع أنّ لكل شخص في الرحلة قصتيهما في ذلك الحيوان... والقصص ينظم بعضها إلى بعض والراوي ينقل في صيغة الحاضر كل ما يحدث ... وكل ذلك قصة كبيرة تروي لنا شيئا فشيئا: وهي قصة الرحلة في رسالة الغفران».[1]

أما مؤلفا كتاب أدبية الرحلة في رسالة الغفران وإن أقرا في البداية اجتماع أجناس أدبية عدة في الرسالة، يقولان :«فهو (قسم الرحلة) في الحق جماع أجناس استعار من المسرح الحوار، وصدامه ومن القصة الراوي وحيله ومن القصيدة المعنى وإيقاعه ومن المقامة السجع وأجراسه ومن الخرافة العجيب بألوانه»، غير أنهما أقرّا في نهاية هذا الفصل بأن قسم الرحلة قصة ترسليه أو رسالة قصصية بأكثر من هذا التخريج: الرحلة قصة ترسلية أو رسالة قصصية ولكن لمسألتي التخيل والسخرية أحكاما إضافية في هذا الشأن[2].

هـ.قيمتها في نظر الشرق و الغرب :

نالت الغفران شهرة كبيرة، وعدت رائدا، ومعلما في درب النثر العربي، " وحسبنا أن نقرر هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب" .[3]

فهي بذلك تعد أقدم نماذج التراث القصصي النثري العربي التي طالما ظلمها النقاد القدامى إلا أنها كانت شبه منسية، من أوائل القرن العشرين، ويرجع سبب إهمال النقاد القدامى لهذه الرسالة إلى الاتهامات التي وجهها أعداء أبي العلاء المعري و حساده إليه خاصة بعد كتابة الرسالة : حيث ادعى البعض أنه سخر من المعتقدات الإسلامية فيما يتعلق بالحياة الأخرى، والجنة والجحيم، و ادعى بعض آخر أنه دافع عن الشعراء الزنادقة وبرّرهم، وتحدث عن المغفرة لهم، وأخذ عليه فريق آخر حكمه على مصير الشعراء من الآخرة، موزعين بين الجنة والنار، وصفوا قصة الرسالة بأنها قصة جريئة خلط فيها

[1] الواد حسين، البنية القصصية في رسالة الغفران ،تونس، دار الجنوب، للنشر1993،ص 85.

[2] الرقيق عبد الوهاب وبن صالح هند، أدبية الرحلة في رسالة الغفران، صفاقس تونس، دار محمد علي الحامي،ط1، 1999، ص 8

[3] طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص 224.

الجد بالهزل، أدت العداوة و البغضاء إلى أنهم كانوا يعتقدون بأن لعن أبي العلاء المعري الزنادقة كانت من قبيل الكيد والرثاء وأنه كان بنفسه زنديقا وملحدا.[1]

ثم انتبه الدارسون العرب إلى رسالة الغفران بعد زهاء تسعمائة سنة هذه الشهرة مدينة لاهتمام المستشرقين و النقاد الأوروبيين بهذه الرسالة و دراساتهم حولها والمقارنة بينها وبين الكوميديا الإلهية لدانتي، عندما هزّ العالم الأوروبي في أوروبا مستشرق اسباني اسمه (القس ميجويل اسين بلاتيوس) بنظريته القائلة بأن دانتي اقتبس الكوميديا الإلهية من أصول عربية في مقدمتها قصة المعراج، ورسالة الغفران، حيث أحدثت هذه النظرية دوياً في الغرب ووصل صداه إلى الشرق العربي[2].

وفي القرن التاسع عشر بدأ اسم رسالة الغفران يتردد في الأوساط الأدبية الأوروبية مقترنا باسم الكوميديا الإلهية لدانتي على سبيل لمح شبه بينهما أولا ثم على سبيل المقارنة المنتهية إلى أنّ "دانتي" متاثرا بأبي العلاء المعري، وأوّل من عرف هذه الرسالة المستشرق الانجليزي نيكلسون في المجلة الاسيوية الملكية يوليو 1899. [3]

فرسالة الغفران طبقت الآفاق شهرة حتى قيل أنها كانت موردا "لأعمال عظيمة لاحقة على رأسها الكوميديا الإلهية لدانتي وفي ذلك يقول شوقي ضيف: «م يصنع أبو العلاء للعرب كوميديا الهية فحسب بل اثرت بها أيضا تأثيرا عميقا في الآداب العالمية».[4]

ويقول محمد غنيمي هلال: «ولا شك ان رسالة الكوميديا تشبه رسالة الغفران في نوع الرحلة وأقسامها و كثير من مواقفها».[5]

[1] هومن ناظميان، دراية الطابع القصصي في رسالة الغفران، اضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الثالثة، العدد التاسع ربيع 1392 ش/آذار2013م،ص 192.

[2] المرجع نفسه، ص 192-193.

[3] المرجع نفسه، ص 193.

[4] شوقي ضيف ،الفن و مذاهبه في النثر العربي، ص 274.

[5] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، دار العودة بيروت، ط3، 1983، ص 230.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية في مظاهر التجديد عند المعري(ديوان اللزوميات ورسالة الغفران)

المبحث الأول: مظاهر الجدة في اللزوميات.

المطلب الأول: الجدة على مستوى الأسلوب.

المطلب الثاني: الجدة على مستوى الموضوع.

المبحث الثاني: مظاهر الجدة في رسالة الغفران.

المطلب الأول: الجدة على مستوى الأسلوب.

المطلب الثاني: الجدة على مستوى الموضوع.

المبحث الاول : مظاهر الجدة في اللزوميات.

المطلب الأول : الجدة على مستوى الأسلوب:

ليست وظيفة اللغة مجرد نقل أفكار أو التعامل مع حقائق ثابتة وإنما تتعامل اللغة مع عواطف الناس ومشاعرهم ، و تخاطب هذا الجانب فيهم وما من شك في أن المبدع يستعين باللغة لخلق عمل فني يكشف فيه عن مشاعره.

ومن أجل التعرف على الحالة الشعورية التي يصورها ابو العلاء في لزومياته كان لا بد من التعرف على الجوانب الجمالية، والوقوف عند الظواهر التي ظهرت في لزومياته بشكل واضح وجلي، اضافة إلى الصيغ اللغوية والبلاغية التي يكثر الشاعر من استخدامهما.

إن أول ما يلفت الأنظار في لزومياته استخدامه الاساليب الانشائية كالنداء، الأمر، الاستفهام والنهي والجدير بالذكر تلك الاساليب كانت لا تحمل معناها الحقيقي في كل شعره فقد خرجت إلى اغراض بلاغية متنوعة، ومن الصعب حصرها جميعا هنا، لذلك بدأنا بدراسة نماذج متنوعة في لزومياته من أجل استجلاء هذه المعاني وبيان قيمتها البلاغية الفنية من حيث الدلالة ومن حيث ارتباطها بالحالة النفسية الشعورية، على نحو ما نرى في قوله:

أيا جسد المرء ! ماذا دهاك؟ *** وقد كنت من عنصر طيب

تخبثت، إذا جمعت أربع *** لديك، وأضحكت في الحي بي [1]

في البيت الأول نلاحظ أن أبا العلاء لجأ إلى أسلوب النداء ممزوجا باستفهام حيث استعمل الاستفهام للإيقاظ والتنبيه، ودعوة إلى التفكير والمساءلة وأما أداة النداء فقد جاءت لنداء هذا الجسد الذي إنقلب حاله من طيب إلى خبيث.

ومن الظواهر في اللزوميات التزامه نظام القافية في آخر كل بيت من أبيات لزومياته أكثر من حرف قبل الروي، وهذا ما سماه "لزوم ما لا يلزم" وقد نظمه على حروف المعجم كلهما مضمومة ومكسورة وساكنة، على النحو ما نرى في قوله:

[1] أبو العلاء المعري، لزوم مالا يلزم، بيروت، دار صادر، 1961،ج1، ص180.

إن كان من فعل الكبائر مجبرا *** فعقابه ظلـــم على ما يفـعل

والله، إذ خلق المعادن، عـالم *** إن الجداد البيض منهما تجعل [1]

ولم يكتف أبو العلاء هنا باللام بل التزم قبلها العين أيضا، وهو ما يسمى التزامه بحرفين قبل الروي. واما في قوله الآتي، فقد التزم ثلاثة حروف قيل الروي:

إن كـان رضـوى وقـدس غـير دائمة *** فهل تعوم لهذا الشخص أركان ؟

ما احسن الأرض لو كانت بصير اذى *** ونجـد فيـهما، لـذكر سكـان[2]

وهذه الحروف على الترتيب الكاف والألف والنون

ولم يختلف المعري بذلك الإلتزام، بل راح يلتزم أربعة حروف أو خمسة قبل الروي، على نحو ما نرى في قوله:

هو المـوت، مـثر عنده مثل مقتر *** وقاصـد نهـج مثـل آخـر ناكب

ودرع الفتى، في حكمه، درع غادة *** وأبيات كسرى من بيوت العناكب

حيث التزم في تلك الابيات بأربعة أحرف قبل الروي وهي على الترتيب النون والألف والكاف والباء.

ولعل التزام أبي العلاء لنظام القافية، يضعه في مقدمة الشعراء العباقرة الذين ابتدعوا مثل هذه المظاهر الفريدة وكأنه راح يتعمد ذلك تعمدا، ليظهر علمه الواسع، وليزيد من تعقيدات لزومياته ورفعها على مستوى الشعراء العاديين.

ومن الظواهر في لزومياته إستخدام الألفاظ الغريبة والغامضة لتحقيق هدفه مستعينا بأساليب الخبرية على نحو ما نرى في قوله:

تـــرى الهـــم لا شـــيء الآكل همه *** له جسد ما استطاع حرا ولا بـردا

يقل العصا، مستثقل الطمر، بعدما *** علا فرسا و اجتناب مآذية سـردا

[1] المرجع السابق، ص 273.

[2] المرجع نفسه ، ص 220

ولا تترك الأيام مردى لطبيبة *** من الأدم، تختار الكباث ولا المردا[1]

نلاحظ في هذا النص الشعري تضافر الالفاظ الوعرة الغريبة كألفاظ الهم والطمر واجتنابا، مآذية مردئ، الادم والكباث، المردا مستخدما الأساليب الخبرية التي لم يكن هدفه فيها الاعلام أو الاخبار بقدر ما كان هدفه التعبير عن آرائه وأفكاره حتى يحقق ما كان يريده له احيانا من رمز، يترك الباحثين في تيه مبهم من التأويل مما قاده إلى تقليب وجوه المعاني والدلالات على نحو ما نرى في قوله:

شربي، على المقلة في مقلب *** وأكلي المشرق بالمغرب

اثر عندي من طعام لهم *** يشفع بالمطرف والمطرب

يا ترب الحالة! كل إلى التر *** ب، فجنب حسد المترب [2]

تكاد ألفاظ أبي العلاء في تلك الأبيات تكون من الأحاجي، لأن مقصده في تلك الابيات يكاد يغمض على سامعيها، ولا عجب بعد التأمل اذا قلنا إن قصده من تلك الابيات كان انه يكتفي بماء قليل بمقدار محدود في مغأور مهلكة ويتعشى على اللحم القديد.

وينصح الفقير بالتخلي عن النظرة الحاسدة لتلك الطبقة الغنية، مدام مآل الجميع إلى التراب.

فأبو العلاء لجأ إلى وسائل مختلفة لإضفاء سمة التعقيد، ومنهما تلك الالفاظ الغريبة المعقدة التي تحتاج إلى معجم لتفسيرها واستعان بالمجانسة التي كان يشغف بهما شغف شديد كما نجد في "المطرف" و "المطرب" و"ترب" و "التراب" كما استعان بالمطابقة في "المشرق" و "المغرب"

ومن أساليب التعمية والغموض اللفظي، اللجوء إلى تزاحم المفردات المتشابهة في اللفظ مما يحدث تنافرا بينهما لتقارب مخارج الحرف على نحو ما نرى في قوله:

وهل ينفع التمسك والمسك تحته *** خبيث نبيث، والذي فوقه المسك؟

إذا مسك الإعدام فاصبر ولاتكن *** جزوعا لكي يروى الفتى وبه مسك [3]

[1] المرجع نفسه، ص349.

[2] المرجع السابق، ص175.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص 216.

زاد أبو العلاء اسلوبه تعقيدا وغموضا لا توضيحا وخاصة عندما كرر ألفاظ متشابهة في اللفظ لنحو خمس مرات في البيتين من مثل ألفاظ التمسيك، المسك، مسك، مسك معتمدا في ذلك على المجانسة ليبين تلك الألفاظ.

كما أنه لجأ في حكمه ومواعظه لمثل ذلك الغموض، ويتبين جليا على نحو ما نرى في قوله:

الصبر يوجد أن باء له كسرت *** لكنـه بسـكون البـاء مفـقود

ويحمد الصابر الموفي على غرض *** لا عاجز بعرى التقصير معقود [1]

ففي هذين البيتين نحتاج إلى فضل روية وامعان لنتفهم معناه في اسلوبه الذي يشبه الاحاجي والالغاز، فأراد انه بكسر الباء في الصبر يعني عصارة الشجر المر، أما بسكون الباء فيعني التجليد.

كما نجد ابياتا كثيرة في لزومياته يسودها الغموض والتعقيد، بحيث لا يستبين المعنى الا اذا شرحنا مفردات البيت كلها، وذلك لوجود جناس وكنايات وتورية ومجاز فيبتعد كثيرا عن الحقيقة على نحو ما نرى في قوله:

لا يصبرون، فقير تحت فاقته *** إن السْباريت جابتها السْباريت [2]

نجد أن المعري قد جانسه بين لفظتي السْباريت أولى والسباريت الثانية وكأنه أراد بتلك المجانسة إظهار قدرته الفنية في تقليب وجوه المعاني والدلالات، فإكثار المعري من الجناس يدل على تمكنه من المفردات أشد تمكنا، لأنه كان يتلاعب بالألفاظ والمعاني على نحو ما نرى في قوله:

ما قرطاسك في كف المدير له *** الا وقرطاسك المرعوب مرعوب[3]

حيث جانس في "قرطاسك" و"قرطاسك" فاللفظة الأولى مؤلفة من لفظين قر بمعنى ثبت وطاس بمعنى وعاء أما اللفظة الثانية "قرطاسك " بمعنى الصحيفة التي يكتب فيها ثرعاد وجانس بين لفظتي المرعوب الأولى بمعنى المملوء ومرعوب الثانية بمعنى الفائق على سبيل الجناس التام

[1] المرجع نفسه، ج1، ص 328.

[2] المرجع نفسه، ص199

[3] المرجع نفسه، ص 96.

ولم يكتف المعري بمثل هذه المجانسة لإظهار مقدرته البلاغية والفنية بل راح يجانس بين مطلع البيت وقافيته على نحو ما نرى في قوله:

لواك الله عنا حين بيتنا *** قريبا من صريمك أولواك

شواك منعته ذهبا مصوغا *** مخافة ما يفوه به شواك [1]

حيث جانس بين مطلع البيت (لواك بمعنى امالك) وقافيته (لواك بمعنى منقطع الرمل) وكذلك بين (شواك: بمعنى اليدان والرجلان والعنق) و(شواك: ج شاة) وهذا ما يسمى في علم البديع رث الاعجاز على الصدور

وراح أيضا يجانس أحيانا جناسا غريبا ونادرا بين القوافي وحشو البيت على نحو ما نرى في قوله:

عذيري من الدنيا عرتني بظلمها *** فتمنحني قــوتي لتأخــذ قوتي

وجدت بهما ديني دنيا فصرني *** وأضللت منها في مروت مروتي [2]

حيث جانس بين حشو البيت (قوتي بمعنى الطعام) والقافية (قوتي بمعنى الشدة) وبين (مروت بمعنى الارض القاحلة) و(مروتي بمعنى القوة والشدة).

وقد استطاع أبو العلاء حقا ان يحدث جناسا أشد صعوبة من ضروب الجناس السابقة على نحو ما نرى في قوله:

ذوي كالروضي روضك يوم شبت *** جمار من لظى أسف ذواك [3]

وقد ألفه من كلمة وحرف في كلمة أخرى، كأنه أراء يمثل هذه المجانسة أن يخطو بالشعر خطوة جديدة في سبيل التعقيد والابتكار اللفظي ويتضح هذا الجناس ليبين (ذوى ك) و (ذواك).

كما راح يجانس بين الفعل والاسم، على نحو ما نرى في قوله:

كبرت فأصبحت للراشدين *** كبرت يعد لهدى دليلا

[1] المرجع نفسه، ج2، ص241.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص 219.
[3] المرجع السابق، ج1، ص 219.

كبرت فما زال- هذا الزمان *** كبرت يجد قليلا قليلا [1]

فأبو العلاء في مثل هذا الضرب من المحسنات البديعية يظهر لنا سرا من اسراره اللغوية التي مازال الباحثون يعيرها الاهتمام الاكبر في دراساتهم وابحاثهم معللين ذلك بغموضه ووعرة ألفاظه تارة وبعمق أفكاره وسعة ثقافته تارة أخرى.

فجاءت ألفاظه ممثلة لانعكاس ثقافته على شعره، ففيها تلميحات دالة على عقائد وحوادث تاريخية، ووقائع مذكورة، على نحو ما جاء في قوله:

إن رابـــنا الدهر بأفـعالــه *** فكلنا ، بالدهر مرتاب

فاعف ولا تعتب عليه فكم *** أودى به عوف وعتاب [2]

ففي البيت الاخير يشير، ابو العلاء إلى شخصين تاريخين مشهورتين وهما عوف ابن شيبان وعتاب جد عمر بن كلثوم الشاعر ولعله بذكره لتلك الشخصيتين يوضح أهمية معرفة الشاعر بأجداده الاقدميين وكأنه أراد بذكر عوف ان يوصل مثلا عظيم الشأن وهو المثل القديم الذي يقول "أوفى من عوف".

ومن هذا القبيل قوله:

إيــاك والخـمر فـهـي خـالبــة *** غالبـة خاب ذلك الغلب

أشأم من ناقة البسوس على النا *** س وان ينل عندها الطلب [3]

ففي البيت الأخير يؤكد على المثل القديم الذي يقول: "أشأم من بسوس" من خلال تلميعه في البيت الأول بأن الخمر خطيرة وتجلب الشؤم لصاحبها فهي بخطورتها تكون أشأم من البسوس والبسوس هي نبت منقذ المنقري خالة جساس بن مرة البكري التي اشتعلت بسببها الحرب البسوس اليهما.

[1] المرجع نفسه، ج2، ص 241

[2] المرجع نفسه، ص312.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص109.

كما أن أبا العلاء يستغل الحوادث التاريخية في استنباط مواعظه وحكمه للوصول إلى نتائج تؤيد مذهبه في الحياة، على نحو ما نرى في قوله:

أصحاب ليكـــة اهلكوا بظــهيرة *** حميت وعاد بالرياح الصـرصر

هون علـيك انلت نصـرا في الوغى *** ام قال جدك صادقا لا تنـصر

كسرى أصاب الكسر جابر ملكه *** والقصر كر على تطأول قيصر [1]

(أصحاب ليكة) وهي قوم النبي شعيب الذين هلكوا (قوم عاد) كذلك هم قوم هلكوا، (كسرى) و(قيصر) كانا ملكين على دولتين عظيمتين (الروم وفارس) وابو العلاء أتى بهذه الالفاظ من التاريخ القديم مستهينا بأسلوب الامر المدعم بالاستفهام (هون) و (أنلت) ليؤكد الحكمة من وراء تلك الالفاظ وهي أن الموت آت لا محالة، وانه قضى على الملوك والعظماء.

ويقول في مثل هذا القبيل:

شب فكر الحصيف نارا فما يخ *** سـن يومـا بعـاقـل تـشبيب

أيـن بقــراط والمقــلد جـــالـي *** نوس؟ هيهات أن يعيش طيب [2]

فكما أستاثر الموت بأهل القوة والجور واستاثر بأهل الحكمة والطب فلم يسلم من أبقراط ولم يفر منه جالينوس وكيف ينجو من الموت طبيب ! أو يسلم منه حكيم؟.

إن المعري يوظف ثقافته لخدمة شعره، وبذلك يكون قد وسع دائرة الشعر لتضم معارف تاريخية وفلسفية وفلكية، على نحو ما نرى في اشارته التاريخية قائلا:

يرتجي الناس أن يقوم إمام *** ناطق في الكتيبة الخرساء [3]

يريد بالكتيبة الخرساء السلاح الذي لا صوت له، ويريد بالإمام الناطق المهدي المنتظر.

ومن خلال شعره أيضا يتضح جليا سعة معرفته بأعلام الشعراء والفرسان والرجال الذين كان لهم حضور تاريخي، على نحو ما رأينا في قوله:

[1] المرجع نفسه، ص 567.

[2] المرجع السابق، ص 111

[3] المرجع نفسه، ص 66.

سلك النجد في قطار المانيا *** قـطـري ونـجـده وشـبـيـبا

أيــن سقـراط والمقلد جالي *** نوس؟ هيهات أن يعيش طبيب [1]

ففي البيت الأول يتحدث عن قطري بن الفجاءة التميمي الشاعر ونجده بن عامر الحروري، وأما شبيب فهو ابن يزيد، وكلهم من فرسان الخوارج وخطبائهم المشهورين، وأما سقراط وجالينوس فهما طبيبان يونانيان مشهوران ففي البيتين السابقين أحب المعري إعلان فكرته التي تقول أن الموت سار على الجميع فالموت. لا يرعف شاعرا ولا فارسا ولا حتى طبيبا.

وفي هذا القبيل قوله:

بدء السعادة أن لم تخلق امرأة *** فهل تود حمادي انهما رجب؟ [2]

لم يأت ابو العلاء " بجمادى و "رجب" لان مقطوعته هي في الباء المضمومة مع الجيم بل أنه قصد ان يهدي القارئ إلى دلالة لكل من الشهرين فالشتاء عند العرب. جمادى لجمود الماء فيه وأما رجب فشهر سموه بذلك لتعظيمهم اياه في الجاهلية حتى انهم كانوا لا يستحلون القتال فيه [3]

وقال في مقطوعة أخرى:

كل شهوري علي واحدة *** لا صفر يتقي ولا رجب[4]

يقصد ابو العلاء المعري من وراء هذا البيت بيان دلالة كل من الشهرين "صفر" ثاني الشهور العربية، الذي كانت تتشاؤم العرب حتى مجيء الاسلام، فنهى عن ذلك فيما نهى من عادات الجاهلية أيضا، ورجب، الذي تحدثنا عنه سابقا.

ويستعين أبو العلاء في مقطوعته الآتية بألفاظ من المصطلحات التي خص الفلك والابراج للتعبير عن معتقده الديني الذي ينفي صلب سيدنا عيسى عليه السلام، كما استشهد في نفس المقطوعة بألفاظ الصيب والسهى والثريا والسماكين والدلو والرشاء ليستبدل بهما على قدرة الله على خلق هذه النجوم والكواكب بشتى أنواعها. على نحو ما نرى في قوله:

---

[1] المرجع نفسه ، ص 111.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص111.

[3] المرجع نفسه 91.

[4] الرجع نفسه،ص110.

أطل صليب الدلو بين نجومه *** يكف رجالا عن عبادتها اصلبا

فربكم الله الذي خلق السهى *** وابدى الثريا والسماكين والقلب

وانحل بدر التم بعد كـــما به *** كان به الظلماء قاصـمة قلـبا

وادنى رشاء للعراقي لم يكـن *** شـريعا اذا نـص البيان ولاخلنا[1]

ان جزالة ألفاظ المعري ، وقوة عباراته من أهم الظواهر التي امتازت به لزومياته، على نحو ما نرى في قوله:

لأمواه الشبيبة كيف غضته *** و رضات الصبى ما ليسبس اضنه [2]

وآمـــال النـفوس معللات *** ولـــكـــن الحـــوادث يـــعتـــرضنه

فهاء السكت التي إلتزمها المعري في آخر كل بيت بعد النون المفتوحة وبعد الضاد الساكنة، تمنح البيت قوة معتدلة وهي الجزالة نفسها .

ومن الظواهر التي تشيع في لزومياته، ظاهرة التكرار التي جائت صورة ملازمة ومنطقية لأفكاره وألفاظه، فالتكرار يمثل بعدا فنيا ونفسيا وشعوريا وفكريا.

ومن تكراره ما يكون في اللفظ، على نحو ما نرى في قوله:

ادراك دهر عن تقاك بجهد *** فدراك من قبل الفوات دراك [3]

فتكرار لفظة دراك، تكرار هام لتاكيد المعنى الذي يعكس عمق فكره وفلسفته في الحياة، وهي أن الدنيا بملذاتها ستبعد كل انسان عن ايمانه مادام ناقصا، لذلك فإنه يحذر (بتكرار تلك اللفظة) ليؤكد مدى خطورة الموقف، مستخدما المجانسة لإضفاء ايقاع موسيقي على ذلك البيت.

وهو يكرر أداة النداء في البيت الواحد، على نحو ما نرى في قوله:

فيا طائر أئمني، ويا ظبي لا تخف *** شذاي فما بيني وبينكما فرق [4]

[1] المرجع السابق، ص 164

[2] المرجع نفسه، ج2، ص522.

[3] المرجع السابق، ج1، ص 243.

[4] المرجع السابق، ص 175.

استعمل أبو العلاء أداة النداء للبعيد (غير العاقل)، وقد استخدمت للقريب (العاقل) ليؤكد حقيقة اندماجه مع حيوانات الارض من طائر وظبي، كما تخلل أسلوب النهي (لا تخف) في محأولة منه ببيان أن الحيوان يفهمه ويفهم قصده من وراء ندائه هذا وأن المعري عطوف على تلك الحيوانات فهو يطلب منها عدم الخوف لأنه لا فرق بينهما وكأنه أراد في ذلك البيت إعلان حق الحياة للحيوان والانسان على حد سواء.

ولم يكتف في المعري بمثل هذا التكرار في الالفاظ والادوات فصعبا بل راح يكرر في الافكار والمعاني على نحو ما نرى في قوله

بني ادم بئـــس المعاشر انـــتم *** وما فيكم وافي لمقت ولا حب[1]

وقوله:

فاحذر من الانس ادناهم وابعدهم *** وإن لقوك بتبجيل وترحاب[2]

وقوله:

ما اعذر الانس كم خشف تربهم *** فغادروه اكيلا بعد تربيبا[3]

وهذا غيض من فيض، فالتكرار في تلك الدلالات يؤكد فكرة المعري التي استقاها من تجاربه وخبراته في تلك الحياة، وهي ان الفساد عم البشرية الجمعين، وان الانس اصبحوا اكثر فسادا وفجرا، لذلك ابا اعتزاله والابتعاد عنهم الا ان عزلته اصبح بها موردا بل معلما لعامة الناس وخاصتهم كما راح يكرر الصور والتشبيهات مثل تكراره صورة الليل المحملة بالاعباء والرزايا، على نحو ما نرى في قوله :

ليل وبـلا نـور، اجـن بمـهمـــته *** حبس الادلة ليس فيه منار[4]

كما أنه أكثر من استخدام المجاز ألفاظ الرؤية، والمشاهدة، فراح يمارس إزاحة المعنى الحقيقية إلى دلالته العقلية، على نحو ما نرى في قوله:

[1] المرجع السابق، ج1، ص 464.
[2] المرجع نفسه، ص140.
[3] المرجع نفسه،161.
[4] المرجع نفسه، ص 468

ورأيت شـر الجـار يشتـمل جاره *** كرحى الفم انتزعت بذين المقول[1]

كما أنه أكثر من المفردات ذات صلة بالأذن علها تعوض عن فقدانه

نعمة البصر حيث انها الوسيلة الثانية المعوضه بعد العين على نحو ما نرى قوله:

لا تعرف الوزن كفى بل غدت اذني *** وزانة ولبعض القول ميزان[2]

وكأنه بلفضه الأذن أراد أن يؤكد على أهمية الأذن ليعوض نقصه بفقده نعمة البصر، ليخفي مشاعر الأ لم والفجيعة لذلك المصاب الجهل. ومن صور التي تكررت كثيرا في لزومياته صور الدنيا فمرة يصورها بالضلالية التي يصدم فيها الوضوح والجلاء على نحو ما نرى في قوله:

تضـــللني في مهمة بعد مهمة *** عدمت به انوارها ومنارها[3]

ومرة يصورها بالفانية القاسية، على نحو ما نرى في قوله:

إنـــها دنيـاك غـانيـــة *** لـم يهنـئ زوجها الفرس [4]

إن الحكمة والموعظة من أهم المظاهر التي وضفت في للزوميات المعري وهي تأتي نتيجة تجربة أو رؤية في الحياة من اجل الاعتبار والموعظة أو للتأكيد على حقيقة ثابتة، أو التأمل في الكون والحياة والانسان ومن المقطوعات التي مزج فيها ابو العلاء حكمته بعقلانية، تلك المقطوعة التي قال فيها :

تـــزوج الـشيـخ فـألـفيتـه *** كـــأنـه مثـقـل ابـل وجـــل

وعـرســه في تـعــب وألـــم *** لا تخضب الكف ولا تكتحل

ملـــت وإن أحسســن أيامه *** تـقـول في النفـس متى يرتحل

أو مات لا استبدلت منه فتى *** إنـــي أراه مـحـرمـــا لا يـجل[5]

إن حكمة أبي العلاء في تلك المقطوعة جاءت بمثابة عظة نافعة، ودرسا اجتماعيا هادفا حقيقة اجتماعية خالدة وهي أن الزواج بين الرجل والمرأة يجب أن يكون مبنيا على التكافل الاجتماعي

[1] المرجع نفسه، ص 349.
[2] المرجع السابق، ص 503.
[3] المرجع نفسه، ص 495.
[4] المرجع نفسه، ص 17
[5] المرجع نفسه، ص 620

موضحا ذلك خطأ زواج الشيخ الكبير السن من الشابة الصغيرة التي تتمنى دنو أجله لتنعم ببديله الشاب وإذا كانت الوحدة النفسية تخللت في لزومياته، فإن الوحدة العضوية افتقرت إليها، حيث انعدمت الوحدة الفنية بين أبيات القصيدة التي كانت تشكل حكما ومواعظ متناثرة يسهل فيها التقديم أو التأخير بعضها دون الإخلال بالتسلسل المعنوي(الدلالي) مثل قوله:

ترجـــى للطـف القـول رد مخالـف *** إليك فـكم حرف يسكن بالنقـر

وإن لم ترى الصقر الحمــامة دهرها *** فمن شيم الورق الحذر من الصقر

وإن جاء ضيف طارق عن ضرورة *** فذخر لقـاريه الطعـام الذي يقري

تــعودت مــني عـــادة فـتـركـتـها *** وما ذاك من نسيان حق ولا حقر[1]

نجد في هذه المقطوعة القصيرة عالج فيها ابو العلاء المعري عدة معاني ودلالات توحي بالحكمة والموعظة حيث لا نجد الروابط المتينة بين الابيات ولو ينتزعن بعض الابيات من تلك المقطوعة لما اثر على سياق المعنى سلبا .

نلاحظ أن الظواهر التي تم الجلاء عنها كان لها الاثر العظيم في توضيح أفكار المعري وتأكيدها وإضفاء معاني جديدة في لزومياته وبيان الشعورية والنفسية فيها .

لقد شغف أبو العلاء بالصور كثيرا، وان صورة الفنية في ديوان لزوميات اكثر من أن تحصيا، وقل أن نمر في صفحة من صفحاته دون أن تطالعنا صورة أو صورتان وهذا ما يجعلنا نركز على ملامح صورة والايحاءات الرمزية التي تتضمنها والصور الجزئية والعناصر المتقابلة، آخذين بعين الاعتبار جميع التشبيهات واستعارته واستخداماته المجازية أن أكثر صور المعري هي في لزومياته كانت تحمل طابعا سوداويا على نحو ما نرى لقوله:

فان كان يكتبه كاتب *** فقد سود الصبح مما كتب[2]

[1] المرجع السابق، ج2 ،ص469.

[2] المرجع السابق، ج1،ص192.

صور المعري الصبح بالصفحة التي اسودت من كثرت الكتابات، ولعل تلك الكتابات كانت رمز الذنوب و الاخطاء التي يرتكبها الإنسان، فيتبدل صبحه الجميل بصورة الصبح المسودة لكثرة الأخطاء والذنوب.

وقوله:

والحتف كالثائر العادي يسرعنا *** والارض تأكل حملا تكتفي في الضبع[1]

صورة المعري الموتى بالثائر الذي يفتك بالناس ويصر علمه، وصورة اخرى للأرض التي رأى فيها صبغا تبتلع أشلاء كل ما يلقى ايهما الموت من الجثث والضحايا.

ومن الصور المقززة التي قدمها المعري للموت قوله :

كـأنهـا ذات قـد اطـتعمـت ذهبـا *** ما ضمه الحطب من يصدر ومن غار

أو ما أجر جرى جره قتل على نفر *** حـر وعـبد فجـرتهـم الغار إلى الغـار

ترمي بعضوين في نطق وذي خرس *** إلــى فــم لصـوف العـصـم فـغـــار[2]

صور المعري الموت بصورتين من منفرتين مستعينا بصورة حسية، الأولى بصورة النار احترقت في ليلة باردة بحطب من شجر السعر والغار، والثانية صورة بذات الجراء التي تجر حثت القتلى على حد سواء من الاحرار والعبيد إلى الطابة طعاما لجرائها حيث تفعل هذه الجراء اقوامها لتمزق اشلاء تلك الجثث.

وقدم ابو العلاء صورة منفرة للدنيا على نحو ما نرى في قوله "

أصاح !هي الدنيا تشابه ميتة *** وتخذ حواليها الكلاب النوابغ[3]

حيث شبه الدنيا بصيفة بشعة المنظر . كريهة الرائحة اما طلاب الصيفة (الدنيا) فالكلاب يتكالبون عليها من كل حدب وصوب لتمزق اشلائها وهي صورة حسية تبعث على الاشمئزاز والكراهية للموت و تنفر منها كما تؤثر في النفس غاية التأثير

[1] المرجع نفسه، ج2، ص 123.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص544.

[3] المرجع السابق، ج1،ص 283.

وأما قوله:

جسدي خرقة تخاط إلى الأر *** ض فيا حائط العوالم خطفي[1]

حيث شبه جسده بقطعة قماش، وعند بلائها سوف تضم إلى الارض لتصبح جزءا منها وهي صورة حسية تبعث على التأمل والتفكير بنهايتنا المقبلة حيث نرجع إلى الارض كما انها تؤثر في النفس غاية التأثير كما صور فعل الايام بالناس على نحو ما نرى في قوله:

تطوى النضارة بالليالي مثل ما *** يطوى بأيدي الصائنات أزار[2]

صور الليالي بصورة الانسان الذي يطوي فهو يطوي نضارة الانسان وشبابه كما تطوي المرأة ثيابها عند غسلها وهي صورة مؤثرة لأنها تذكرنا بمرو الايام دون ذلك ان نفكر بمرورها أو العمل على استغلالها بشكل مفيد إلى جانب التشبيه نلاحظ الاستعارة لما تميز من قدرته على ابراز الطاقة الخيالية والتشخيصية فقد لجا المعري في صوره إلى تشخيص المعاني المجردة مسقطا عليها مشاعرة واحاسيسه عاكسة نفسية الحزينة إزاءه تجاربه وصراعه مع الحياة والمجتمع على نحو ما نرى قوله:

حرام على النفس الخبيثة بينها *** على الجسم حتى تجزي السوء معنا[3]

يشخص ابو العلاء النفس بإنسان خبيث قد ظلم في حكمه فهو يجزي عمل المحسن للسيئات والاخطاء وقد وظفه المعري في هذا البيت لتأكيد على أن المحاسبة والجزاء هي من أفعال الله وحده ودون ذلك فلا يحق له المحاسبة .

يقول:

للـمنـايا حـواطــب لا تبالــي *** أهشيـما جرت لها ام رطيبا

صرفت كأسها فلم تسقي شرابها *** مرت خالصا واخرى قطيبا [4]

[1] المرجع نفسه، ج2، ص 575.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 463.

[3] المرجع السابق، ص 512.

[4] المرجع السابق، ص133.

شخص في البيت الاخير الموت إذ جعل له يدا تمد كأسها للشاربين دون ان تميز المنية بينهم فكلهم سيشربون منها دون إن تبالي أخشيا كبيرا قتلت أم طفل صغير (في البيت الأول) وجعل الليل فكرا يعمل به ليعلم السر والخفايا يقول :

لعل نجوم الليل تعمل وفكرها *** لتعلم سرا في العيون شواهد [1]

وجعله صاحبا له يفتخر فيه على نحو ما نرى في قوله:

لا تصحبن يد الليالي فاجرا *** فالجار يؤخذ أن يعيبها الجار[2]

كما تتضح الاستعارة حلية في بيته الاتي:

دنياك تشبه ناضحا مترددا *** من شانها الاقبال والادبـار[3]

يشخص الدنيا بإنسان متردد متقلب لا يرسو على فكر واضح كما يشخص الموت بانه لأنسان سارق، مستخدما الاستعارة يقول:

والموت يسلب ما في الانف من شمم *** تحت التراب وما في الخد من صم فتغير[4]

ولم يكن في المعري للتعبير عن صورة ادق تصوير باستخدام الاشعارات والتشبيهات وحسب، بل راح يستخدم الكناية في صورة بحيث جاءت لإثبات المعنى وتوضيحه فهو يرد الافتضاح عن المعنى قبيح أو موفق مؤلم في حياته وتقل وضيفة الصورة الاستعارية والتشبيهية وذلك لان قدرتها على الايحاء أدنى وأقل .

وقد استخدم أبو العلاء الكناية للتعبير عما يجول في نفسه من مشاعر وخواطر دون الافصاح عنها بشكل مباشر في قوله :

عرفت من أم دفر شيمة عجبا *** دللت على اللؤم وهي العذق و بالخدم[5]

[1] المرجع نفسه، ص311.
[2] المرجع نفسه، ص456
[3] المرجع نفسه، ص459..
[4] المرجع نفسه، ص 541.
[5] المرجع السابق، ج2،ص 451.

فقد كنى أبو العلاء بأم قل عند الدنيا للؤمها وعندها مع البشر لأنها تخدعهم ليجربوا وراءها دون وعيها أو افكر.

وقوله:

توخ بهجد ام ليلى فإنها *** عجوز اضلت حي طسم ومارب [1]

حيث كنا بأم ليلى عن الخمرة، كذلك بالعجوز لخبرتها الطويلة بانها ستضل كل القبائل والحواضر وهو يكنى عن صغر نفسه ومقارنتها، على نحو ما نرى في قوله:

ما لنفسي بين النفوس معـنا *** ة اذا لم تفــر بطوق وسلس

لو ينادي في كل سوق عليها *** ما اشتراها خاذ رشاد يفلس [2]

كما نجد ان ابا العلاء المعري قد وضف البديع ليخدم لزومياته كما سيطر على شعره الطباق كان طباقا فكريا فلسفيا جامعا بين الاصداء لذلك كان يمثل العنصر الأساسي في بناء الصورة وتشكيلها بشكل واقع على نحو ما نرى في قوله :

كالغول عالك بتكوينها *** يبين تقد بها وتلبيسها[3]

يقيم أبو العلاء عن طريق طباقه (تفديها وتنسيبها) صورة يرسمها تناقضات الدنيا وتلك الصورة ممزوجة بالتشابهات ليخرج منها بحكمة وفلسفة ان الدنيا كالغول تتبدل وتتميز بين التقديم والتأخير ذلك تركيز ابن العلاء على عنصر الحركة في الصورة فالدهر ملئ بالتناقضات والأضداد على نحو ما نرى في قوله :

وحكما لهذا الدهر صاح بقائم *** من العالم اجلس أودعا بالسقام[4]

فهي طباقه بين (اجلس وقم) تجاوز أبو العلاء (لعب الدهر) في الحدود المتعارف عليها هادفا إلى الاطراف والتجديد عندما طرق موضوعا هزليا مزجه بالحد متحسرا من لعبة الدهر تلك واجزاء هذه الصورة متمثلة بعنصر الصوت(الصياح).

[1] المرجع نفسه، ج 1، ص147.

[2] المرجع نفسه، ج2، 66.

[3] المرجع السابق،ج2،ص64.

[4] المرجع نفسه، ص 441.

كما نجد في لزومياته العناصر القابلية بين مواقفه وفلسفته في مشكلة الوجود وظواهره المتناقضة في بيئته استعمل المعري المقابلة في تصوير تلك الحقيقة وهي حقيقة الموت والتي بها يدفن الجسم في التراب وتصعد الروح إلى السماء يقول:

ولجسمها التراب هبوط *** ولروحيا إلى الهواء صعود[1]

كما يبين فلسفته في حال الدنيا بشكل جلي حيث يقيم صورة تقابليه لها خرج منها بحكمة مفادها أن الدنيا عذاره فاذا ما اعطت باليمين اخذته باليسار يقول :

ودنيا ان وهبت باليمين *** يسارا الفتى اخذت باليسار[2]

ويقيم صورة تقابليه تقوم على تقويم صورة بشعة للموت حين وتقديم صورة جميلة حين اخر يقول:

ما أعدل الموت من أن وأستره *** فهيـجني فـاني غير مـهاج

العيش افقر منا كل ذات غنى *** والموت اغنى بحق كـل محتاج

إذا الحـياة علينا لـلاذ فتحت *** بابا من الشر لاقاه بارتيـاح[3]

وكأنه راء بتلك المقابلة الحأوية على الثنائية القابلية (العيش، الموت)و(أفقر، أغنى) أن يثبت افضلية الموت على الحياة، لأنه حريص على جعل صورته أكثر عمقا وإبداعا حيث رأى بضرورة استخدام تلك الثنائية وبهذا يكون أبو العلاء قد أبدع في صوره أيما إبداع لما فيها من دقة واحكام يقول الدكتور عمر فروخ انه حس التشابهية والاشعارات برغم عماه الذي اصابه في الثالثة من عمره فجاءت صوره معبرة عن موقفه وأفكاره إزاء الدنيا ومجتمعه فآخذت لزومياته مفتقرة إلى ذلك الخيال لأنه عاهد نفسه ألا يضع فيها إلا ما يعتقد أنه الحق وأنه من الكذب والمبين بريء كما جاء في مقدمة لزومياته حيث صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب.

[1] المرجع نفسه،ج1، ص347.

[2] المرجع نفسه، ص211.

[3] المرجع السابق، ص 270.

وكانه اراد بتلك المقابلة الحأوية على الثنائية (العيش، الموت) و(أفقر، اغنى) أن يثبت افضلية الموت على الحياة، لأنه حريص على جعل صورته أكثر عمقا وإبداعا حين رأى بضرورة استخدام تلك الثنائية و يكون أبو العلاء قد أبدع في صوره أيما إبداع لما فيها من دقة وأحكام.

المطلب الثاني : على مستوى الموضوع:

تناول أبو العلاء من الفلسفة العلمية في لزومياته موضوعات كثيرة ومهمة، ولابأس من الوقوف عند بعضها ،لما لها من دلالات و آثار في فلسفته وأول ما نبدأ به:

الموت والحياة:

شغلت قضية الموت الفكر الإنساني قديما و حديثا ،لأنها كانت تشكل النهاية لهذا المخلوق على وجه هذه الارض ،ثم لان الاسباب الموجبات والحالات المؤدية لهده النهاية ،تبدوا متباينة ولا تجري على نسق واحد ،ثم أن الفكر الانساني لم يقدم القضايا المتعلقة بموت ،فهناك آراء اعتقدت بحياة بعد الموت ، وآراء اخرى اعتقدت بعدم المحض ،والفناء المطلق الذي لا رجعة بعده .

وأوضح العلاقة بين ما قبل الموت ، وما بعده كنتيجة حتمية إيجابا أو سلبا ،سعادة أو شقاء ومن غير ظلم ومن الحقائق الثابتة أن الفكر الإسلامي قد أراح العقل الإنساني ، لكننا مازلنا نشكو في تأثير هدا الفكر على عقل ابي العلاء ،لأنه كان يخاف الموت كثيرا حتى اصبح شغله الشاغل في حياته لكنه سرعان ما ركن الى حقيقة مفادها أن الموت هو الطريق المخلص للآلام والمعاناة في قصوة الحياة ومرارة العيش على نحو ما نرى في قوله:

فمالي أخاف طريق الردى *** وذلك خير طريق سلك

يريحـك من عيشة مـــرة *** ومـال أضيع ومال ملك[1]

والموت موقف حاجز ،أو حد حاسم من شأنه أن يهددنا دائما بتلك اللحظة الأليمة التي لا نستطيع بعدها أن نحقق أي امكانية وفي ذلك قول المعري :

وكيف اقضي ساعة بمسرة *** واعلم ان الموت من غر مائي[2]

[1] أبو العلاء المعري ،لزوم ما لا يلزم ، بيروت دار الصادر ،ج2 ،سنة 1961،ص255.

[2] المرجع نفسه،ج1،ص65.

خير ابو العلاء الحياة ،و رأى انها تعب وعناء ،وان الدنيا غرور مغرية بمتاعها ونعيمها ،وان المرء لا يستطيع كبح جماح نفسه لان النفس امارة بالسوء والناجون فيها قليلون جدا على نحو ما نرى في قوله :

وهي الحياة فعفة أو فتنة *** ثم الممات فجنة او نار[1]

وقوله :

العيش ادى الى ضر ومهلكة *** لولا الحياة لكان الجسم كالضم [2]

ومن الملفت الانتباه حقا أن في لزومياته كثيرا ما يقرب حديثه عن الحياة بذكر الموت ،مظهرا القياس والتباين بينهما ،معلنا بذلك عن بلاغته مطلقا خياله فإذا هما داء ودواء كقوله :

وما العيش الا علة يورها الردى *** فخلى سبيلي انصرف لطياتي[3]

تعطيل الزواج والتناسل :

نجد أن المعري كان يرى في الزواج والتناسل تغذية مستمرة لعملية الموت، وعلى المرء أن يتوقف عن إمداده بهذه المادة البشرية طواعية ومحبة كقوله:

دع النسل إن النسل عقباه ميتة *** ويهجر طيب الراح خوفا من السكر[4]

ومن وجهة نظره إنه شقاء وتعب ،فإذا تزوج المرء وأنجب أولاد اشقاهم و أشقى نفسه بهم في ذلك يقول:

والنسل فرش لهموم الفتى *** والعقل مسلوب من الفارش[5]

ويقول:

إذا اراد ثم البنين كرامة *** فالحزم أجمع تركهم في الأظهر[6]

فالبشرية أساس الشقاء ولا يمكن إزلة هذا الشقاء بالإصلاح وإنما بتعطيل النسل البشري.

[1] المرجع نفسه،ص468.
[2] المرجع نفسه، ج2،ص452
[3] المرجع نفسه، ج1،ص223.
[4] المرجع السابق،ص520.
[5] المرجع نفسه، ج2،ص78.
[6] المرجع نفسه، ج1،ص566.

نباتية أبا العلاء المعري:

نجد أن المعري هجر اللحوم ، لأن الوصول إليها يعيب ألم للحيوان، فليس من المستبعد أن نراه وقد طلب من الإنسان أن يرحم الحيوان ويرأف به كقوله:

لا أشكر الجدي في دار العيش به *** ولا أروع بنات الوحش واللطان [1]

وقوله:

ولا ترهف مدى لعبيط نحض *** ولا تشهر على قرن صقيلا [2]

وقوله أيضا:

روح ذبيحك لا تعجله مميتته *** فتأخذ النحض منه وهو يختلج[3]

نجد أن أبيات أبي العلاء ، تحمل عاطفة جياشة ملؤها الرحمة والرأفة لذلك الحيوان وبهذا فإن أبا العلاء يريد من الإنسان أن يكف أذاه عنه ويصرف شره عما عداه، وعمن عداه ويطلب منه أيضا أن يذهب مذهبه ويسير سيرته في ذلك.

كذلك نجد المعري في الفلسفة الرياضية لم يبحث في الأعداد والمقادير بحثا مستيقظا وإنما تعدى لبعض المسائل من علم الهندسة والحساب وقد ورد في لزومياته بعض ابيات الحساب كقوله:

خمسة في نظيرها خمس خمسات *** تنمت والنصف في النصف ربع [4]

وقوله:

طرق العلا مجهولة فكأنه *** صم العدائد مالها أجذر[5]

وتتضمن أشعار المعري إشارات في علم الفلك والكون لكنه رغم بحثه العميق والمعقد فإنه لم يستقر على حال وصراحة وأحيانا أخرى نراه يقف وقفة المتشكك الحائر مصيرا بذلك كله في أشعاره التي تبدوا متناقضة فيما بينها، بجزم بحدوث الكون وزواله وبفتاء النجوم وزوالها حيث يقول:

[1] المرجع نفسه، ج2،ص558.
[2] المرجع السابق،ص299.
[3] المرجع نفسه، ج1،ص256.
[4] المرجع نفسه،ص100.
[5] المرجع نفسه، ج2،ص130.

وعالم ظل فيه القول مختلفا *** ومحدث هومن رب له القدم

فاذخر لنفسك خيرا كي تسر به *** فإذا فعلت وإلا عادك الندم[1]

وأما فيما يتعلق بعظمة الكواكب، فقد عظم أبو العلاء الكواكب ، و حضي على التفكير في خلقها لأن الله تعالى عظيمها وقد بينه القرآن إلى عظمة أمرها ، وجعلها آية لألى الالباب دالة على قدرة خالقها وحكمته كقوله:

الشهب عظمها المليك ونصها *** للعالمين فواجب إعظامها [2]

كذلك درس أبو العلاء الفلسفة الطبيعية دراسة متأنية باحثا في موضوعاتها الأربعة (المادة الزمان، المكان، تناهي الأبعاد) فكان لابد لنا من وقفة مع تللك الموضوعات :

الزمان:

حيث يقول فيه المعري في لزومياته :

إذا قيل مال الدهر شيئا فإنما *** يراد إله الدهر وخادم

ومولد هذه الشمس أعياك حدة *** وخبر لي انه متقادم

وأسير كونه تحته كل عالم *** ولا تدرك الكون جرد صلادم[3]

المكان:

يراه المعري بأنه ضد الزمان أي بأنه شيء أقل جزء منه لا يمكن أن يشتمل على جميع المدركات ولم يذكر له حدا مانعا وإنما عرفه ببعض أعراضه الخاصة كقوله:

أما المكان فثابت لا ينطوي *** لكن زمانك ذاهب لا يثبت[4]

وقوله:

حوانا مكان لا يجوز انتفاله *** ودهر له بالسكانية مرور[5]

[1] المرجع السابق،ص398.

[2] المرجع نفسه،ص148.

[3] المرجع نفسه،ص390.

[4] المرجع السابق،ص378.

[5] المرجع نفسه، ج1،ص427.

المادة:

درس أبو العلاء المادة وبحث في أسرارها فرأى الفلاسفة بأن الأجسام تتكون من مادة قديمة خالدة وصور تختلف عليها من ذلك يقول:

نرد إلى الأصول وكل حي *** له في الأربع القدم انتساب [1]

تناهي الأبعاد:

حيث قال فيها أبا العلاء المعري:

ولو طال جبريل بقية عمره *** الدهر ما استطاع الخروج من الدهر[2]

وقوله:

وهل يأبق الأنسان من ملك ربه *** فيخرج من أرضه له وسماء [3]

وأخيرا نرى أن أبا العلاء درس فلسفة الطبيعية دراسة جدية ،على الرغم مما جاء من تناقضها وتردد الى تأرجح حياته ما بين راحة وقلق وانفتاح وعزلته وزهد وحياه وموت مما اثر على أفكاره.

[1] المرجع نفسه،ص101.

[2] المرجع نفسه،ص519.

[3] المرجع نفسه،ص64.

المبحث الثاني : مظاهر الجدة في رسالة الغفران

المطلب الأول : الجدة على مستوى الأسلوب:

إن الطريقة الفنية والخيالية التي إنتهجها أبو العلاء المعري في كتابة رسالته تميزت بالكثير من الخصائص الفنية والأسلوبية سواء منها ما تعلق بالجانب اللغوي أو الجانب التخيلي أو النفسي أو الفكري ومادام الأسلوب هو الرجل نفسه، فان هذا يدعو إلى الوقوف على أهم الخصائص والتي تعبر عنه بشكل أو بآخر عن الإنسان ومعارفه ونظراته الحقيقية.

التخيل المبدع:

وهو ضرب من ضروب من الإختراع والإشاء والتوليد، وهو إبتداع شيء جديد لم يكن من قبل كإبتداع أفكار أو أنظمة جديدة و كان الصورة المركبة لم نعدها من قبل ومن تقنيات التدخل المبدع القلب، وهو تغيير يطرا على صورة الأشياء الأصلية، وهو في الرحلة جزئي أو كلي فهلا العوران الخمسة قد صاروا كما قال البطل لا يوجد أحسن منهم عيونا في الجنة، وهذه توفيقه السوداء قد صارت أنضج من الكافور ،بعد أن كانت سوداء ونور تمثيل على القلب الكلي فهذا زهير الذي وجده ابن القارح شابا كالزهرة الجنية والأعشى شابا غرنق غير في النعيم المنافق فهذا الترتيب يعمق الرغبة في الحصول على الكمال الإنساني من جمه وبين قبح صورة ابن القارح التي لم تتغير ومن أمثلة التخيل التركيبي إكساب بعض العناصر عناصرا جديدة، وهذا الأسلوب متواتر في الحلة كالرحى من الدر والقصور من ولينة و الكثبان من عنبر وخلايا النحل من الجواهر فالتركيب فيها كون صورتها الواقعية قد تغيرت فصورتها الخيالية صارت من طبيعة مخالفة لما عهده المعري في واقعه ويمكن ان تضيف إلى هذا النوع من الخيال حديث ابن القارح مع الحوريات والجان حيث نجده كثيرا ما عبر عن هذا الإعجاب باستعمال صيغ التعجب (سبحان الله وغيرها) أو باستعمال الفعل و مشتقاته فيعجب من ذلك ومن أمثلة هذا النوع ،شجر الحور ومن المشاهد أيضا "ويتكئ على مفرش من السندس ويأمر الحور العين أن يحملن ذلك المفرش فيغصن على سرير من سرر أهل الجنة" [1]

[1] المرجع السابق، ص 378.

فالجديد الذي ركبه أبو العلاء المعري من الواقع الأشياء جديدة بإستخدامه أدوات له نعتادها من مفرش من سندس وسرير من عسجد وأشجار تعقل وتفهم، وثمرات تتكلم، وجواري وحور يأ تمرن بأوامر الشيخ، والشيخ منسجم مع كل ما يحدث، وكأنه مطمأن البال والحال لما يراه لا يهزه الجزع بل يتمنى الأنخراط في زحام الحية، من الصور التي يمكن ان نضمها إلى الخيال المبدع هي بعض الصور التي تحدث الإضطراب والشك لدى المتلقي كقوله "ولتمر أوزه مثل البختية يتمناها القوم شواء فتتمثل على خوان من الزمرد فإذا قذيت منها حاجة عادت بإذن الله إلى هيئة ذوات الجناح "[1] هذا الخيال المبدع الذي يضم التصور بزوال البؤس والغم والاذى، فلا تألم ولا توجع بالنسبة للأصناف التي أدت مهاما نبيلة في الحياة الدنيا، ماعدا "ابن القارح "وأمثاله والذين يتمتعون باللسان، فمتعتهم تكون المشاهدة مع ملاقاتهم بكلام من نفس النوع والجنس .

وما يمكن أن نسجله على هذا النوع من الخيال رغد ورغبته والغرض منه جعل "ابن القارح" ضحية من ضحايا الحس الوجداني الذي لم يتطول عقله إلى مستوى أكثر إنسانية .

التهكم والسخرية على ألسنة الحيوان:

يتميز المعري بحكمة إنسانية عالية بمعرفته أن المواجهة لا تصلح للخصم ومن ذلك ما يرويه على لسان الحيات في رسالته فهذا المرح والذعور من الحيات الذي يعاب به" ابن القارح" وامثاله لإقرار حقائق تتعلق برغبة الانسان في تحصيل السعادة واجتناب ما دون ذلك قد جاء في حديث ابن القارح مع النابغة الجعدي عن الحور العين قوله: "ان الله جلت قدرته، من علينا بؤلاء الحور العين اللواتي حولهن عن خلق الإوز فختر لك وحدة من هن، فلتذهب معك إلى منزلك تلاحنك ارقى اللحام وتسمعك درب الالحان، يقول لبيد ابن ربيعة "ان اخذ ابو ليلى قينة و واخذ غيره مثلها، اليس ينتشر خبرها في الجنة فلا يؤمن أن سمها فاعلو ذلك أزواج الإوز ؟" [2]

لهذا تضرب الجماعة عن إقتسامي الحور خوفا من التسمية بأسماء الإوز وهي تحمل اكثر دلالة فالمظهر الأول يبعث على الضحك والسخرية من التركيبة البشرية، والتي لا تريد ان تنكح مخلوقات

[1] المصدر السابق، ص283.

[2] أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح: عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص 243.

غريبة اما المظهر المخجل فهو الخوف و الذعر من انتشار الخبر بين سكان اهل الجنة، لهذا كان نقد المعري للكثير من الاخلاق والعادات والتصرفات السلوكية المرئية لكشف طبيعة نفوس الناس

حيث أن البناء الفني الذي إستحضره المعري في روضة في الحياة يعد تجسيدا حقيقيا لها ذكره "ابن القارح" في الجنة "ثم يضرب سائلا في الفردوس، فاذا هي في روضة مؤنقه، واذا هي حيات يلعبن ويتماقلن يتخافقن ويتثاقلن فيقول: لا اله الا الله وما تضع حية في الجنة ؟ فينطقها الله، بعدما الهمها المعرفة بهاجس الخلد فيقول: اما سمعت في عمرك "بذات الصفاء" الوافية لصاحب ما وفى؟[1] يثور "ابو العلاء المعري "علا شخصية "ابن القارح" بينما تنكشف ذاتها للآخرين فيقرعها بالحجة ويجعلها ضحية من ضحايا الفكرية لبيان غدري بعدما مات قلبة واستقام عود لسانه، ومات ولي نعمته، راح يظهر الورع والتقوى وهي رمزية تخفي الغدرة والتقلب المرضي للنفس ولهذا اعدى له حديث اخر مع حية اخرى ليصيب الفزع الاكبر من ارتشاف رضاهما، فبعد ان يعرف "ابن القارح" انها حية متحولة يرفض دعوتها ومجالستها "ويذهب مهرولا في الجنة، ويقول في نفسه كيف يركن إلى حية شرفها الله وهما بالفتك هم ؟ فتناديه هلم ان شئت اللذة"[2] فاللذة "لابن القارح" أوقفتها صور الحية لبعض التوجس والريبية في حقائق اللذات ،ولجوء المعري إلى السخرية لأنها شكيمة الغضب والتهكم لجام الغيظ لهذا اختار العديد من المشاهد في روضة الحيات والحيوانات المفترسة .

الصياغة والصناعة:

نجد الطريقة التي معنى عليها المعري من حيث صياغة الجمل والاسلوب وصناعة العبارات هي اسلوب في تنميق فنون الصناعة اللفظية للجمل وبيان المقدرة والتمييز وابراز الغربية والسجع فيه، فان الالفاظ والاسجاع تتناسل متدافعة نتيجة الحفظ وكثرة فيأتي البعض منها متكلف، ففي مشهد التعبير عن اباريق الجنة يقول: " ولو بصر بها عدي بن زيد لشغل عن المدام والصيد واعترف بان اباريق مدامه، وما ادرك من شرب الحيرة وندامه امر هين لا يعدل بنابت حمصيص أو ما حقر من خر

[1] المرجع السابق، ص264.

[2] المرجع نفسه، ص 371.

بصيص"[1] فالتكلف هنا واضح وقد اتى بهدف اللفظين الوعرين مجتمعين في كلام واحد وهذه الكلفة اضطرته تلبية لأغراء الصنعة اللفظية لكن يجب الاحتراس من اطلاق هذه الاحكام بشكل مطلق لأنه يجب ان نضع امام اعننا شخصية ابي العلاء المعري بحكم فقدانه البصر يسهل عليه التنقل بين معاينة بالا بالاسجاع والمترادفات والتقليبات اكثر من استرسال بالكلام العادي والذي يتطلب وسائل الابصار ومكابدة اكثر مثال ذلك قوله: "فاذا مد المؤمن يده إلى واحدة من ذلك السمك شرب ما فيها عذبا لو وقف الجرعة منه في البحر الذي لا يستطيع ماءه الشارب لحلت منه سافل وغروب ولا صار الضمر كأنه رائحة خزامى سهل طلته الداجنة بذهل أو نشر مدام خوارة سيارة في القلل سوارة" [2]

فقال خذ ما سهل وليس مهما أن تكون الأزهار نبتنا في حزن أو سهل ثم قال بذهل ولا قيمة لان يكون العلاء في ليل أو نهار فضلا ان كلمة " الداجنة" تحمل هذا المعنى ثم لها قال: "خوارة" ختم العبارة بقوله "سواره" ومن الناحية فسورة تعني انها تعمل عملها في الرؤوس وهذا من طبيعة الخمرة فإظهار الرغبة في تحمل المكان وإظهاره يكون روحيا أو من إلى ابي العلاء المعري تنسيق اثاثه وعباراته لهز النفوس من طور الخفاء إلى طور حيز وجودها الفعلي ، لهذا اصبح عند أبي العلاء المعري له ذوقا خاصا به ، وفا لسجع عنده اصبح في صورة تختلف اختلافا بين عن ذك الذي عهده ادباء عصره اذ لزم فيه نفسه لا يلزم فتقيد فيه بحرفين وكثيرا ما يستعين في تحقيق مجانساته على اللفظ الغربي مثال ذلك قوله: "واذا من الله تبارك اسمه بورود تلك الانهار صاد فيها الوارد سمك حلاوة لم ير مثله في ملاوه"[3] بإبدال الحاء ميما لتدل على البرهة من الزمن لتحقيق التناسب بين الذوق ووقت الاستمتاع ايضا في وضوح تعجبا "ابن القارح" من أوز الجنة" وليس ذلك ببديع من قدرة الله جلت عظمته وعزت كلمته وسبغت على العالم نعمته ووسعت كل شيء رحمته ووقعت بالكافر نقمته"[4] وفي المثال قد ارتبطت نهايات الكلمات بثلاثية "الميم" "والتاء" و "الهاء" في كل نهاية وتشترك جميعا في بيان قدرة

[1] المرجع السابق، ص146.
[2] المرجع نفسه، ص168.
[3] المرجع السابق، ص167.
[4] المرجع نفسه، ص 212.

الله تعالي رحمة وغضبا ايضا في حديثه عن السحب وما تنثره سحابة كأحسن ما يكون من السحب من حديث عن السحب وما تنثره سحابة كأحسن ما يكون من السحب من نظر اليها شهد انه لم ير قط شيئا احسن من حلاوة بالبرق في وسطها واطرافها تمطر بماء ورق الجنة من طل وطش وتنشر حصى الكافور كإنه صغر البرد لا يعجزه تصوير الأماني هذه الإسجاع الناتجة بين "السين" و"الغاء" بتغير مواصفتها في البدايات إلى الوسط تجعلنا نحس باهم هناك تقليبا في الاصوات للتعبير عن بهاء هذه السحابة أننا نلمس في هذه الأوصاف الرغبة في اتيان بالنادر والتشبيهات وألوان البديع رغبة في إظهار التفوق والتميز الذي يناسب مقام العالم الآخر لننظر كيف يعبر عن ندم الشاعر "الاخطل التغلبي" ورغبته في التوبة فيقول: "ابن القارح" اخطأت في امرين جاء الاسلام فعجزت ان تدخل فيه ولزمت اخلاق سفيه وعاشرت يزيد بن معاوية واطعت نفسك الغاوية واثرت ما فنى على باق فكيف لك بالإباق ؟ فيزفر الأخطل زفرة تعجب لها الزبانية فيقول اه على أيام يزيد أسوف عنده عنبرا لا إعدم لديه سيستبرأ"[1] فالتلازم الذي أحدثه المعري "الغاوية" و"الزبانية" و"معاوية" لتأكيد فكرة العذاب الناتج عن ملازمة اخلاق السفهاء والصديق مع الصديق يعثر وما يمكن قوله: هو ان الاسجاع لا تفهم اغراضها مالم تفهم صاحبها هذا بصفة عامة هذا إضافة إلى المحنة التي أصيب بها أبو العلاء المعري "العمى" فهو مضطر اضطرار إجباريا إلى هذا النوع من الأسجاع فنرى إلى جانب السجع حضور الجناس بنوعية والمطابقة المعنوية والتي هي من خصائص الأسلوب في رسالة الغفران كتكرار "الراء" أو "القاف" أو "السين" أو "العين" وهذا في الحق يجعلنا نحس دوما وراءه رغبة في الإمتاع والتعمق في تصعيب الأداء ولهذا يمكن ان نرد تصعيب الاداء إلى الثقافة اللغوية الموسوعية والتاريخية والدينية والتي حصلها المعري طوال حياته في غار عزلته.

[1] المصدر السابق، ص 347.

المطلب الثاني : الجدة على المستوى الموضوع :

لقد تعددت المواضيع في رسالة الغفران ، من الجوانب الإيمانية والمواضيع الإجتماعية المضامين الفكرية والفلسفية وغيرها من المواضيع التي تطرق إليها أبي العلاء في رسالته من أهم هذه المواضيع التي تجلت في رسالة الغفران هي:

الموضوعات الاجتماعية:

المرأة:

المرأة مكمن الوجود ورمز البقاء سلامته وعلامة مميزة في عافيتها، وهي أيضا من أهم أسباب هزالة ومهبط علياه، فهي تمثل الخير والشر، ولقد كانت البداية في رسالة الغفران معبرة متسعة رؤيتها مقتصدة عباراتها بالرد على ابن القارح بأن نوطه قلب أبي العلاء لم تلتصق بها أمور الغيواني، ولم يكن عرقها ضارب في نفسه "فأما تفرح بهما، الرباب وقد يبتهج بهما عند غيري، فأما أنا فيئسا من خيري"[1] فهذه الزفرة الحزينة التي قضت على علامات الابتهاج عند أبي العلاء المعري تكشف عن معرفة عميقة بامرأة وما تطلبه من مال وحمال ورعاية.

كما نجد المعري قام بنبذ الزواج وقطع النسل، فعند طوافنا في أرجاء الجنة مع البطل ابن القارح لنجد مكانا للأطفال الصغار ،اللهم الظلمان الذين توكل له مهام توزيع الدعوات على أهل الجنان أو القيام بأدوار الندل في قوله: "فإذا أتت الأطعمة افترق غلمانه الذين كأنهم اللؤلؤ المكنون لا حظار المدعوين فلا يتركون في الجنة شاعرا إسلامي ولا مخضرما ولا عالما بشئمنا أصناف العلوم ولا متأدبا إلا حضره"[2]

كما تبرز وظيفتهم الجنسية كما يقول ابليس مخاطبا ابن القارح عن الولدان المخلدون هل يفعل بهم ما يفعل بالحور، يقول ابليس اللعين مخاطبا ابن القارح " أسألك عن خبر تخبر نيته أن الخمر حرمت

[1] أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمان، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 1984، ص139.

[2] المرجع نفسه، ص272.

عليكم في الدنيا وأحلت لكم فب الأخرة فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدون فعل أهل القريات؟ فيقول عليك البهلة؟ أما شغلك ما أنت في"[1].

فإن كان المقصود ابن القارح فهي إشارة إلى مكان يفعله من منكرات في البلاط ودنياه وشيوع حب الغلمان في ذلك العصر.

وهكذا حرم أبو العلاء المعري ما في الزواج من أنس وعطف يخفف من شعور بالوحشة في النفس الإستقرار أما الأمر بالنسبة لابن القارح فقد أطلق أبو المعري العنان لخياله ليتمثل مختلف التصورات الإجتماعية.

الخمر:

وظفها أبي العلاء في رسالة الغفران لأداء جوانب حسية بحته متمثلة في تحريك هواجس الشخصيات وعلى رأسهم ابن القارح ومجتمعه الذي كثرت فيه فلسفاتهم عن الخمرة.

فبدأ أبي العلاء الحديث عن هذه الظاهرة و نظر لها نظرة العاقل لا نظرة رجال الدين فهو يرى في تحريمها من جهة ومفسدة العقل حيث قال في رسالته:" هي راح دائمة لا الذميمة ولا الدائمة"[2].

وقال أيضا " في تللك الأنهار أواني عل هيئة الطير ينبع من أفواهها شراب كأنه من الرقة سراب الوجع جرعه منه الحكمي لحكم أنه الفوز القدمي وشهد له كل وصافي الخمرة من محدث في الزمن عتيق الأمر".

وقال أيضا فيها:" وتلعب في تلك الأنهار الخمرية أسماك من الذهب والفضة وصنوف الجواهر إذا مؤمن يده إلى واحدة منها شرب ما فيها عذبا لو وقعت الجرعة منه في البحر الذي لا يستسيغ مادة الشارب لحالت منه"[3].

والخمر له تأثير على نفوس والإستقرار بها وجاء في حديثه مع الاعشى عنها والإجابة المخزية لإبن القارح عن طريق هذه الشخصية "كلا والله إنها عندي لمثل المقر لا يخطر ذكرها بالخلد".

[1] المرجع السابق، ص 309.
[2] المرجع نفسه، ص 142.
[3] المرجع نفسه، ص150.

وكإخراج حسان بن ثابت في المجلس يقول:" ويحك أما استحيت أن تذكر مثل هذا في مدحتك رسول الله أي: دكر الخمر"[1].

وهكذا نجد أن الخمر يبين فساد عقلية المجتمع وضربهم في صنوف الغي بأنواعه المختلفة.

كذلك نجده في المضامين الفكرية و الفلسفية منها:

الحرية والجبر:

يبدوا أن أدب العلاء المعري كانت تطارده بالحال شديد فكرة القضاء التي تحيط به وتحتويه وكيف تسري الأقدار أقر بالجبرية التامة وأيقن عدم إمتلاك الإنسان لحرية أفعاله نجده يقول:" لا فتأ دائما فيها راضي على أنه لا مدفع لما قضى"[2].

فهو يرى أن الأمور مقدرة بقضاء سابق ونجده جاء في تلك الحوارية التي دارت بين النابغة الجعدي ردا عليه يقول الجعدي: "اسكت يضال بن ضل فأقسم أن دخولك الجنة من المنكرات ولكن الاقضية جرت كما شاء الله لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من نار ولقد صلى بها من هو خير منك ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت : أنك غلط بك"[3].

ونجد الفكرة العامة المقرة بجريان القضاء وإنصرافه في أمور الناس هذا من وجهة ومن وجهة ثانية عجز الأنسان وعقله على معرفة بعض الأسرار الكونية.

[1] المرجع السابق، ص ص233-235.

[2] المرجع نفسه، ص 133.

[3] المرجع نفسه 233.

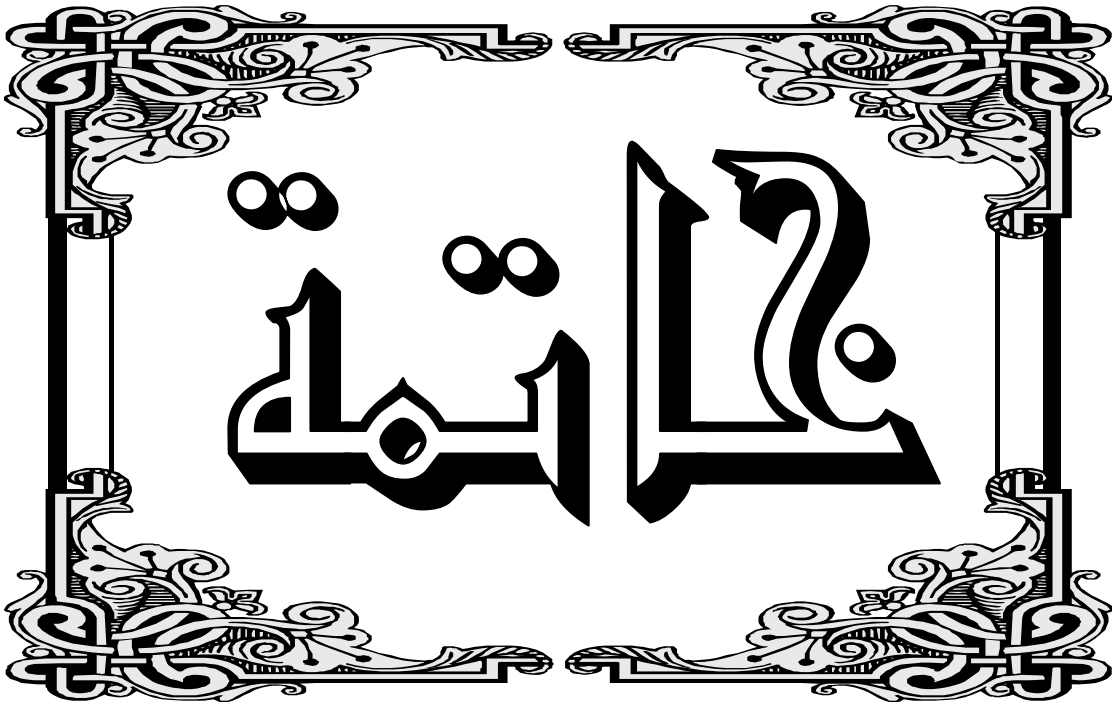
خاتمة

خاتمة

كان المعري فريدا من نوعه ، اذ عرف بذكائه المفرط وقوة ذاكرته وسعة علمه وثقافته ورقة قلبه ورحمته التي تعدت الانسان الى الحيوان ومن هنا نذكر تلك الملامح المستنبطة في دراستنا الميدانية لأدبه كالتالي :

1. اضطراب كل شئ في نظر المعري ،فاضطربت مقاييس الحياة ، واختل النظام ولم يعد ينظر الى الحياة ، الا هذه النظرة السوداء البغيضة ، التي تنطوي فيها خيوط فلسفته التشاؤمي.

2. تعتبر تجربة ابي العلاء الشعرية في لزومياته ابداعية جادة ، تعكس توقه الى الخروج عن الانماط السائدة والتي هيمنة عليها التشاكل والتماثل لعصور خلت ، ويمكن اعتبار ذات المعري الشعرية ذاتا باحثة فريدة من نوعها وهي تبحث بالحاح واصرار شديدين ، عن الحقيقة وعن الجديد ، بحث المعري عن الجديد فكان له ذلك ، اذ لم يعرف القدماء والمحدثون ، الا نوعا واحدا من لزوم ما لا يلزم وهو ما بنيت عليه لزوميات المعري .

3. ومن اهم خصائص شعر المعري في لزومياته ، الاشتمال على الامثال والحكم والحكمة وخصوبة الخيال وتكلمه على التاريخ والحوادث التاريخية ورجال العرب الذين اشتهروا بفعل حوادث تاريخية مشهورة .

4. ونكتشف ايضا معالم الزهد في شعر ابي العلاء المعري في ارائه التي برزت في اتجاهين هما المجتمع وفساده والحياة والموت ، ومن تللك المعالم ديوانه اللزوميات التي تتضمن الاف الابيات في الزهد والتنفير من حياة الدنيا

5. كذلك نجد ابو العلاء المعري ينظر الى الدنيا بمنظار اسود ، فقد استنزل اشد سخطه وغضبه عليها ولهج في لزومياته بذمها واحتقارها وحض على اجتنابها والزهد فيها وشغل حيزا كبيرا في شعره فيها .

ومثلما كانت للمعري مكانة عالية له ومرموقة في الشعر كانت له نفس المكانة في النثر الفني التي تجلت في كتابه رسالة الغفران ، والتي استخلصنا منها بعض النتائج نذكر منها :

1. كثرة الشروح والتفسيرات للمسائل النحوية لغاية ابراز القدرات الفكرية لدى المعري .

2. تبنى لغة رسالة الغفران على الكلمات والاضداد فتتكون المعاني مؤتلفة من المعنى والنقيضة فقد تقرأ الرسالة على أنها مدح خالص وهجاء اصلاحي في الوقت نفسه بمعنى ان تحقيقها ينحصر في تدبرها ، كان ترى الغفران في حصول التجاوز و الصفح عن الذنوب مع الرغبة في تحقيق المتعة الحسية.

3. إنبنى النص على العلاقة الخلافية والتي لا يكون المعنى الا فيها ولقد تميز النص العلائي بالثنائيات الضدية التي حفل بها فيأتي المعري بشيء ونقيضه في ذات الوقت وهذا ما لمسناه من خلال هذه الدراسة فهو يذكر الجنة ويذكر النار بالمقابل يتحدث عن الصدق ويقابله الكذب من الجهة الثانية ثم يتطرق الى الايمان والعصيان وهذه الثنائيات الضدية هي التي تثري المتن وتسكنه المعنى من خلالها .

4. رغم ان أبا العلاء المعري يطلعنا مباشرة على موقفه من القضايا المطروحة والمعاصرة له في المعارف والفنون والعلوم في شق رسالة الغفران الثاني ، الا ان الشق الاول هو الرحلة الخيالية الذي كتب له الخلود ، ويرد فيه على اسئلة ابن القارح والقضايا التي اثارها ردا غير مباشر ، مازجا الجدة بالسخرية لإبداء رايه و بعض شكوكه في اهم قضايا عصره .

5. ونجد بان ابو العلاء قد صب تأملاته الفلسفية في وعاء رسالة الغفران ، فهو قد صب فيها قبل هذا وذاك ، تأملاته وآرائه وذوقه الأدبي

6. ونجد كذلك ان فن الاضحاك في رسالة الغفران تأسس وانبثق من النادرة الكبرى وهي توبة ابن القارح ، فان خبر التوبة هذا هو الاساس الذي نشئ عنه الاضحاك والسخرية والاختيار الهزل في تأليف رسالة الغفران .

وفي الأخير نرجو ونسعى بان يكون لهذا البحث بعض النفع للمتخصصين في الدراسات الأدبية العربية ، و كذلك إلى غير المتخصصين الذين يبغون الاطلاع على الجانب المشرق من تاريخ الأدب العربي الذي ينبض بالحياة ويزخر بالحركة ، وتتمثل فيه كذلك روح العروبة المتوقدة و المتجددة التي لا

ترضى بالخمول أو السكون ، وتتطلع دائما إلى الإمام في سبيل حياة افضل ومجد جديد ، ونأمل أن يسد هذا البحث المتواضع فراغا ولو بسيط في الدراسات الأدبية وإذ لم يتسم هذا البحث مرتبة الكمال فحسبنا أننا نشدناه وعلى الله فضلا السبيل .

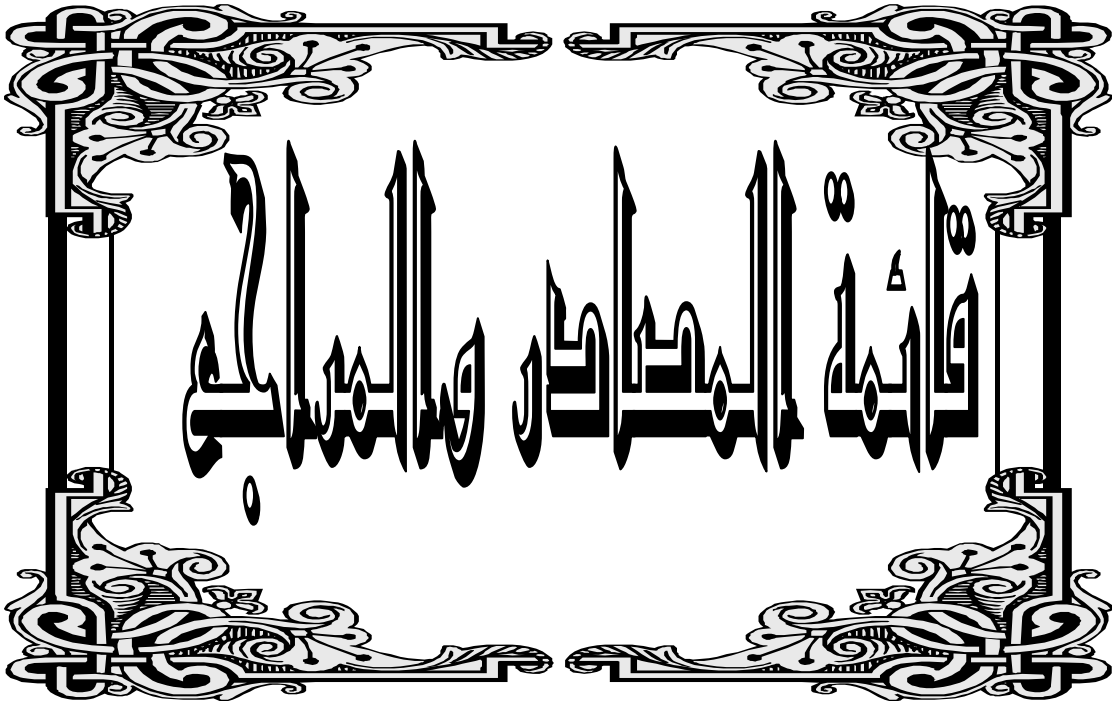
قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المـصادر

1. ابن منظور، لسان العرب، تصحيح امين عبد الوهاب محمد الصديق العبيدي ،ج 6 ،لبنان بيروت دار التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي ، ط 2

2. ابو العلاء المعري، سقط الزند ،شرح احمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1990

3. الحسن احمد بن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة ،دار احياء التراث العربي بيروت،ط1،1987

4. محمد التنوخي المعجم المفصل في الادب دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط2 ،11998

5. محمد بن بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان،ج1،1986

6. موسى بن محمد بن ميلاني، المتوسط الكافي في علم العروض والقوافي،دار المعارف،ج1،2009

المـــراجع

1.ابراهيم زكي خورشيد احمد الشينتناوي، عن المستشرقين النسخة العربية دار الشعب القاهرة القسم الثامن

2.ابن الغنيم ،تاريخ زبدة الحلب من تاريخ حلب،دار الصادر بيروت،ط1،1999

3.ابن القارح في رسالته،دار المعارف،ط7،1977

4.ابو العلاء المعري، اللزوميات، شرح عمر ابو النصر،داربيروت،ج1،1961

5.ابو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمان ،دار المعارف مصر ،9 سنة 1990

6.ابو العلاء المعري ،رسالة الغفران ،شرح حسن فاعور،ط6،د،ت

7.انيس المقدسي ،امراء الشعراء العرب في العصر العباسي، دار العلم للملايين بيروت ،ط15

8.الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون ، ط1 ،ج 6 مكتبة المصطفى واولاده القاهرة سنة1938

9.جرجي زيدان ،تاريخ اداب اللغة العربي ،مراجعة وتعليل شوقي ضيف، دار الهلال ،ج 2

جعفر خرباني، ابو العلاء المعري رهين المحبسين ،دارالكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 سنة 1990

الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، دار الجبل بيروت ،ط1889،1

10. خلي كنجيان خناري ، مصادر ثقافة ابي العلاء المعري ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ، ط1 ،2001

11. سناء خضر، النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري بين الفلسفة والدين،دار الوفاء الاسكندرية مصر،د،ط،1999

12. شمس الدين ،مقدمة رسالة الغفران ،شرح حسن فاعور، مقدمة لزوم ما لم يلزم شرح عمر ابو النصر،ط1990،2

13. شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،ط1،دار المعارف القاهرة

14. شوقي ضيف ،تاريخ الادب العربي، دار المعارف بمصر (د، ت) ط8، ج4

15. صلاح الدين خليل بن بكر الصفدي، نكت العميان في نكت العميان اختصره عبد الله بن عثمان،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1،ج2007،1

16. طه حسسين ،تحديد ذكرى ابي العلاء ،مطبعة دار المعارف بمصر ،ط 9

17. طه حسين ، المجموعة الكاملة (ابو العلاء المعري) ،دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة ، مجلد 10، ط1983،2

18. طه حسين ، واخرون تعريف القدماء بابي العلاء ،ط1 الهيئة العامة للكتاب

19. طه حسين و جماعة من الاساتذة، شروح سقط الزند ، الدار الثقافية للطباعة والنشر القاهرة (د، ط) 1945

20. عائشة عبد الرحمان، الغفران دراسة نقدية ،دار المعارف مصر ،ط1999،4

21. عائشة عبد الرحمان، مع ابي العلاء في رحلة حياته،دار الكتاب العربي نط1972،1

22. عبد العزيز العتيق ،علم المعاني (البيان والبديع) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت،ط1889،2

23. عزالدينن ابو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ،(د، ت)ج 3

24. عمر فروخ ،تاريخ الادب العربي ،دار العلم للملايين بيروت لبنان ،ط 1

25. كمال الكيلانين رسالة الغفران، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،2012

26. كمال اليازجي، ديوان لزوم ما لا يلزم في العظة والزهد وذم الدنيا لابي العلاء المعري ،دار الجبل بيروت ، ط1 ، ج11، 1992

27. مارون عبود، زوبعة الدهور، دار الثقافة بيروت ،ط6،د،ت

28. محمد رمضان الحربي، الادب المقارن ،منشورات مالطا ،ط1 ،2002.

29. محمد غنيمي هلال ،الادب المقارن ،ط 33 دار العودة بيروت ،1983.

30. مومن ظميان ،دراسة الطابع القصصي في رسالة الغفران اضاءات نقدية، 2013.

31. نادية تيحال ،ادب التمرد عند ابي حيان التوحيدي وابي العلاء المعري، الجزائر ،2004.

32. ياقوت الحموي ،معجم الادباء ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ،ج 1،ط1، 1993.

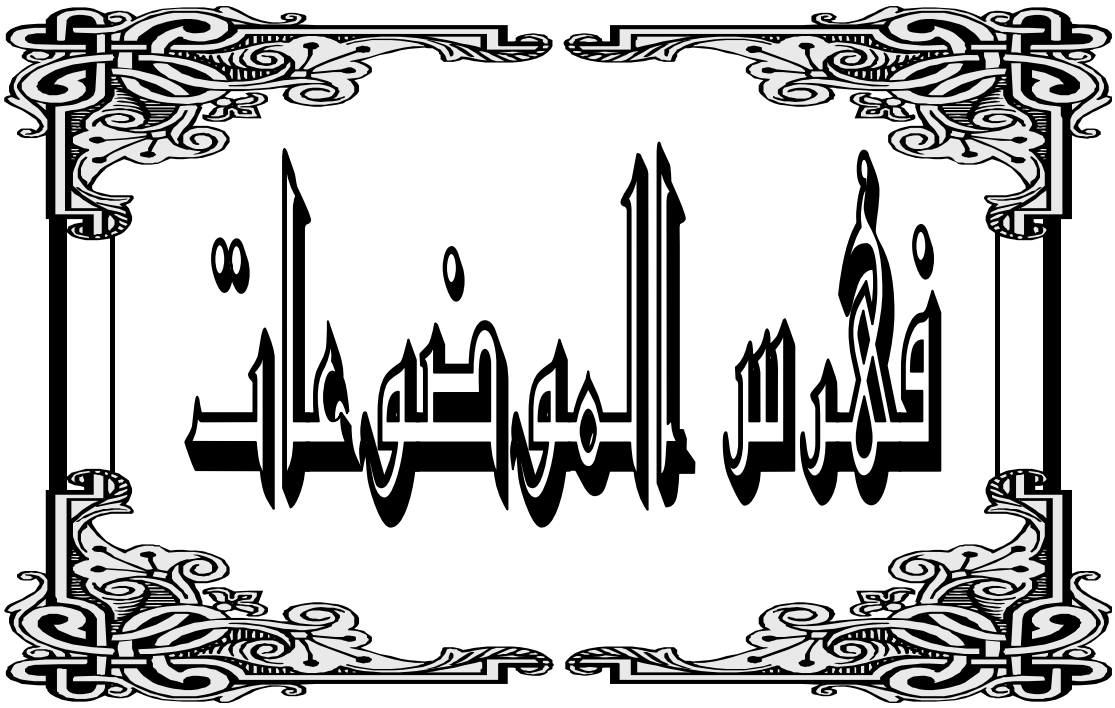
فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

مقدمة..... أ - ج

مدخل..... 5-6

الفصل الأول : الجديد في العصر العباسي واثر تجلياته في شخصية أبي العلاء المعري

المبحث الأول : مظاهر الجدة في العصر العباسي

أولا : الحياة السياسية..... **8-9**

ثانيا : الحياة الاجتماعية..... **9-10**

ثالثا : الحياة الأدبية..... **11-12**

رابعا : الحياة الدينية **12-13**

المبحث الثاني : حياة أبي العلاء المعري

أولا : نسبه..... **14**

ثانيا : حياته..... **14-15**

ثالثا : موت أبيه..... **15-16**

رابعا : رحلته إلى بغداد..... **16**

خامسا : وفاته وأثاره..... **16-17**

أ. سقط الزند..... **17**

ب. رسالة الغفران..... **18**

ج. الفصول والغايات..... **19-20**

د. اللزوميات..... 20

سادسا : مكانته في تاريخ الأدب العربي 21–20

المبحث الثالث : الجدة في اللزوميات ورسالة الغفران

أولا : اللزوميات..... 21

أ. مفهومها 22–21

ب. سبب تسميتها 24–22

ت. مضمون اللزوميات..... 26–24

ثانيا : رسالة الغفران..... 26

أ. مفهومها 27–26

ب. الزمن والمكان الذي ألفت فيه الرسالة..... 28–27

ج. مدلولية العنوان..... 29–28

د. قراءة الأجناس في رسالة الغفران..... 30–29

هـ. قيمتها في نظر الشرق 31–30

الفصل الثاني : دراسة تطبيقية في مظاهر التجديد عند المعري

المبحث الأول : مظاهر الجدة في اللزوميات

المطلب الأول : مظاهر الجدة على مستوى الأسلوب..... 48–33

المطلب الثاني : مظاهر الجدة على مستوى الموضوع 52–48

المبحث الثاني : مظاهر الجدة في رسالة الغفران

المطلب الأول : مظاهر الجدة على مستوى الأسلوب..... 57–53

المطلب الثاني : مظاهر الجدة على مستوى الموضوع 60–57

خـــاتمة..... 64–62

قائمة المصادر والمراجع..... 68–66

فهرس الموضوعات 71–70